الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

تأثير السياسة التعليمية الفرنسية على المجتمع التونسي 1881 - 1930 م

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في التاريخ تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطالبتين:

فاطمة الزهرة غولة

هاجر صماري

إشراف:

د. حفيظة معمر

لجنة المناقشة

الاستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
محمد السعيد عقيب	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
حفيظة معمر	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
رضا ميموني	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

السنة الجامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

قال تعالى:

{وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب} سورة هود: الآية 88 .

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

بسم الله والصلاة والسلام على النبي المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام

أما بعد....

نشكر الله سبحانه وتعالى على نعمته التي أنعمها علينا لإتمام هذه الدراسة لقوله تعالى

{ وما بكم من نعمة فمن الله } سورة النحل ، الآية 53 .

والشكر الخاص الى الدكتورة الفاضلة المشرفة " حفيظة معمر " لإشرافها على هذه الدراسة والتي لم تبخل علينا بنصائحها وإرشاداتها

التي أفادتنا بها.

و كل الشكر والتقدير للدكتور ثامر عبد الرؤوف على مساعدته لنا

كما نتقدم بالشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على خالص جهدهم

المبذولة في قراءة وتصحيح المذكرة من أجل مناقشتها

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى الأساتذة الأفاضل

الدكتور حناي محمد والدكتور شرقي أيوب أنار الله دربهما ووفقهما لما

فيه خير

وثناء أخص إلى الطالبة ريان بن عروسي وفقها الله في شهادة الدكتوراه

دمته ذخرا في خدمة العلم والمعرفة

إهداء

الحمد الله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد .....

أهدي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى من حملتني وهنا على وهن و من جعل الله الجنة تحت أقدامها

إلى منبع الحنان أمي الحبيبة ..... مسعودة

إلى سندي في الحياة وقاموس أفكاري ومنجد إنطباعي وعلمني

الإرادة ومعنى التحدي والنجاح أبي الغالي .....عبد القادر

إلى أفراد عائلتي الغالية :عبد الغني ، عبد الحق ، رحاب ، مُحَمَّد فؤاد

إلى ألماستي رزان

إلى من إجتمعنا على مقاعد العلم وتشاطروا معي فترة الدراسة بحلوها و مرها

يسرى ، كوثر ، بهاء الدين ، أفراح ، مصباح ، حياة ، هاجر .

كما يطيب لي أن أنور و أشرف به عائلتي الكريمة " غولة "

إلى كل أولئك الذين تعرفت عليهم من قريب أو من بعيد في حياتي بدون

إستثناء يطيب لي أن أهديكم خير ما كتبته يداي وخير الختام سلام.

فاطمة الزهرة

إهداء

بسم الله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى أما بعد ....

أهدي عملي هذا إلى :

جوهرة قلبي و أميرة عرشي أمي حبيبتي ...مريم

تاج رأسي ..... درب حياتي أبي الغالي .....أحمد

شموع أضاءت حياتي إخواتي (سيف الدين، مُحَمَّد الأمين، فتحي، نوفل، جميدة، سهير، بشرى، مروة)

إلى سندي الأعظم الحصن المنيع نبض القلب

شريك العمر زوجي أنيس روحي :

بوصبيع إبراهيم عبد القادر

إلى ألماستي إلى روح قلبي إلى كبدي بناتي :

ملاك، الحادة

إلى كل عائلة زوجي خاصة (مبروك، أم الخير)

إلى كل من ساندني في الحياة ومن سقط منه القلم سهو

هاجر

ملخص الدراسة .

تناولت الدراسة سياسة فرنسا التعليمية بتونس وتأثيراتها على المجتمع التونسي، فمنذ وطأتها الإيالة التونسية قامت بتهميش التعليم التقليدي التونسي وتطبيق تعليم عصري جديد، جل برامجه صورة مطابقة للتعليم الفرنسي، بهدف تكوين جيل تونسي يكن الولاء لفرنسا ويخدم مصالحها الآنية والمستقبلية بقدر ما كان غرضها خلق جيل تونسي متعلم.

كما إتسمت سياستها التعليمية بمحدودية العرض التعليمي سواء في المجال وعدد المتمدرسين أو في التعليم ذاته بين ما هو مخصص للأوروبيين والفرنسيين والآخر لعموم الأهالي، ولقد شكلت مسألة التعليم حراكا فكريا بين مكونات النخبة التونسية زيتونها وصادقيها، فالبعض منهم طالب بتعليم عربي في إطاره الإسلامي العربي، والطرف الآخر طالب بتعليم عصري ولم تمانع بأن يكون بالفرنسية، وكان المجتمع التونسي المستهدف الأكبر من جراء هذه السياسة الاستعمارية التجهيلية التي سعت إلى ضرب مقوماته وهويته الإسلامية التونسية.

الكلمات المفتاحية: السياسة التعليمية – التعليم – النخبة التونسية – المجتمع التونسي، الزيتونة .

Abstract .

This study deal with France's educational policy in Tunisian and its effects on Tunisian of an educated Tunisian generation, and its educational policy was characterized by a limited educational offer whether in the field and the number of learners or in the education itself, between what is intended for Europeans and French and the other for the general population. the issue of education constituted an intellectual movement among the components of the Tunisian elite, the students of Azaytouna and Asadikia. Some of them demanded an Arab education within its Islamic Arab framework, and the other party advocated modern education and did not mind that it be in French. Tunisian society is considered the biggest target as a result of this ignorant colonial policy that sought to strike its foundations and Tunisian Islamic identity.

Keywords: educational policy – education – Tunisian elite – Tunisian society – al zaytouna .

قائمة المختصرات .

الكلمة	المختصر
أكثر من صفحة	ص ص
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعريب	تع
تقديم	تق
تهميش مستمر	=
جزء	ج
دون بلد نشر	د.ب.ن
دون تاريخ نشر	د.ت.ن
دون طبعة	د.ط
صفحة	ص
طبعة	ط
عدد	ع
مجلد	مج
مراجعة	مر
ميلادي	م
هجري	هـ
Page	p

فهرس المحتويات

العنوان	الرقم
شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	
مدخل : التعليم في تونس قبيل الحماية الفرنسية	
أولا: لمحة عن الحماية الفرنسية على تونس	16-15
ثانيا: التعليم والمؤسسات التعليمة بتونس قبيل الحماية الفرنسية	17
1/التعليم في تونس	18-17
2/المؤسسات التعليمية في تونس	20-18
أ)- الجوامع والمساجد	19-18
ب)- الكتاتيب	21
ج)- الزوايا	23-22
د)- المدارس	27-24
الفصل الأول: التعليم الفرنسي في تونس1881 - 1930م	
أولا: منطلقات السياسة التعليمية الفرنسية	40-29
1)- المشاريع التعليمية الفرنسية	29
أ- مشروع جول فيري	29
ب- مشروع جون جوسران	30
ج- خطة لجنة الشؤون التونسية	31-30
د- مشروع لوي ماشويل	36-31
هـ- مشروع سيباستيان شارليتي	37-36
2)- الهيئات المشرفة على التعليم الفرنسي	37
إدارة العلوم والمعارف	38-37
اللجان المدرسية	38
مجلس التعليم العمومي	39-38

الرقابة المدرسية	39
مجلس الإدارة	40-39
ثانيا: أنماط ومراحل التعليم	46-40
1)- أنماط التعليم	40
أ- التعليم الحر	40
ب- التعليم الرسمي	41-40
ج- التعليم المهني	42-41
د- تعليم البنات	44-43
2)- مراحل التعليم	44
أ- التعليم الإبتدائي	45-44
ب- التعليم الثانوي	46-45
ج- التعليم العالي	46
ثالثا: المؤسسات التعليمية الفرنسية	62-46
1)- مدارس الذكور	50-47
2)- مدارس الإناث	53-51
3)- المدارس المختلطة	57-53
4)- المدارس الأوروبية المسيحية	62-57
الفصل الثاني: المواقف التونسية تجاه السياسة التعليمية وتأثيرها على المجتمع التونسي	
أولا: المواقف التونسية	78-66
1)- موقف عموم الشعب	67-66
2)- موقف النخبة	68-67
أ- النخبة الزيتونية	72-68
ب- النخبة الصادقية	78-72
ثانيا: تأثير السياسة التعليمية الفرنسية على المجتمع التونسي	89-79
1)- طبقات المجتمع	79

أ- على الطبقة المثقفة	83-79
- النخبة الزيتونية	82-80
- النخبة الصادقية	83-82
ب- على الطبقة المهمشة	83
ج- على المرأة التونسية	89-84
2)- مقومات المجتمع التونسي	90
أ- اللغة العربية	92-90
ب- الدين الإسلامي	90-92
3)- البرامج والمناهج التعليمية التونسية	96-95
الخاتمة	
ملاحق	
قائمة المصادر والمراجع	
الفهارس	

مـــــــقـدمـــــة

عرف القرن التاسع عشر تطورات كثيرة نتيجة التغير الكبير الحاصل في موازين القوى بين دول أوروبا، و مما نجم عنه تسارع في وتيرة التوسع وبسط الهيمنة والاستحواذ على العديد من الدول الإفريقية، وبعد مساومات بين الدول الأوروبية الكبرى المتناحرة على منطقة شمال إفريقيا، في مؤتمر برلين سنة 1878م تقرر جعل الإيالة التونسية من نصيب فرنسا، وبدأت الحكومة الفرنسية تعمل على إستثمار تدهور الأوضاع بالبلاد التونسية وتدخلها في شؤونها السياسية والاقتصادية والإجتماعية وهذا من خلال فرضها معاهدتي باردو سنة 1881م ومعاهدة المرسى سنة 1883م وبمقتضى المعاهدتين تمت الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م .

خلال هذه الفترة الزمنية عانى الفرد التونسي من ويلات الإستغلال الإستعماري الذي تجلت مظاهره في الجانب الاجتماعي، خصوصا فيما تعلق بالتعليم الذي يبرز بوضوح خبايا السياسة الإستعمارية الفرنسية الخبيثة، وينفي عنها المبررات التي رفعها منظورها بكون هدفهم نقل الحضارة الغربية إلى شعوب المستعمرات المتخلفة .

حاولت فرنسا جاهدة القضاء على الحركة العلمية بتونس بالسعي إلى فتح مدارس لأبنائها، ووضع تعليم خاص بهم يتماشى مع المنظور الفرنسي، هذه السياسة التي كان لها انعكاسات عميقة في نفوس الشعب التونسي والنخبة المثقفة بشقيها الزيتونية والصادقية، إذ تصدتا معا في وجه المشاريع الاستعمارية والإدارة الفرنسية على حد سواء بموقف مجابه لها نظرا لما لها من تأثيرات سلبية وتحولات جذرية مست جميع قرائح المجتمع التونسي .

1)- دوافع وأسباب إختيار الموضوع .

أ- الذاتية :

- الرغبة الشديدة في دراسة تاريخ تونس المعاصر .
- التعرف على تأثيرات وانعكاسات السياسة الفرنسية بصفة عامة والتعليمية بصفة خاصة على المجتمع التونسي .

ب-الموضوعية:

- تمثلت في قلة دراسة المجتمع التونسي من ناحية السياسة الفرنسية التعليمية، في حدود إطلاعنا .

2)- أهمية وأهداف الدراسة .

تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على الآثار الناجمة عن التعليم الفرنسي بتونس ما ألحقه من تغييرات جذرية بالمجتمع التونسي وثوابته .

3)- حدود الدراسة .

إخترنا الفترة الممتدة من بداية إنتصاب الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م إلى غاية سنة 1930م، هذه الأخيرة التي شهدت منعطفا حاسما في تاريخ تونس المعاصر من أحداث تاريخية سياسية هامة في الجانب السياسي .

4)- إشكالية الدراسة .

تمحورت إشكالية موضوع الدراسة: **"ما مدى تأثير السياسة التعليمية الفرنسية على المجتمع التونسي خلال الفترة (1881 – 1930 م)"؟ .**

وتنطوي ضمنها أسئلة فرعية .

- ما هي الأسس والدعائم التي ساعدت فرنسا في إرساء سياستها التعليمية في تونس؟
- فيما تمثلت أنماط ومراحل التعليم في تونس أثناء الحماية الفرنسية ؟
- ماهي أهم المؤسسات التعليمية الفرنسية بتونس ؟
- فيما تمثلت ردود أفعال النخبة وعموم الشعب إزاء سياسة فرنسا في التعليم بتونس ؟
- كيف أثرت السياسة التعليمية الفرنسية في المجتمع التونسي بكل مكوناته ؟

5)- المناهج المعتمدة .

ومن بين المناهج المعتمدة في هذه الدراسة هي:

- **المنهج التاريخي:** كونه أساس كل دراسة تاريخية بحيث سمح لنا بعرض الأحداث والوقائع كرونولوجيا بما تعلق بمراحل السياسة الفرنسية التعليمية بتونس .
- **المنهج الوصفي:** هذا المنهج أكثر المناهج البحث ملائمة للوقائع التاريخية كسبيل لفهم ظواهرها وإستخلاص سماتها حيث يتم من خلال هذا المنهج وصف وتحليل المعلومات التي تم جمعها مما يؤدي إلى نفس ملائم لها وذلك من خلال تحليل بعض الأحداث التاريخية ووصف حالة المجتمع التونسي جراء السياسة الفرنسية..

6)- خطة البحث .

للإحاطة بالموضوع أكثر والإجابة عن الإشكالية المطروحة، تم معالجة الموضوع وفقا للخطة المكونة من: مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول.

مدخل: التعليم في تونس قبيل الحماية الفرنسية، جاء مدخل لإعطاء صورة عن حيثيات الحماية، وكذا الإطلاع عن التعليم بتونس قبيل الحماية ومؤسساته لمحاولة مقارنتها مع التعليم بعد الحماية الفرنسية 1881م.

الفصل الأول: التعليم الفرنسي في تونس 1881-1930م، تم التعريف فيه بمنطلقات السياسة التعليمية الفرنسية بدءا بالمشاريع الفرنسية الموجهة نحو التعليم والهيئات المشرفة عليه والداعمة له، بالاضافة الى المؤسسات التعليمية الخاصة به وتضمن التعليم الفرنسي شروحات حول الأنماط والمراحل التعليمية الخاصة به، أما بخصوص المؤسسات تم التطرق إلى أهم المؤسسات الفرنسية إلى جانب المدارس الخاصة بالجاليات الأوروبية الأخرى المتواجدة بالبلاد التونسية .

الفصل الثاني: المواقف التونسية تجاه السياسة التعليمية الفرنسية وتأثيرها على المجتمع التونسي،فقد خصص إلى عرض المواقف التونسية تجاه السياسة التعليمية الفرنسية وتأثيراتها على المجتمع التونسي اشتملت المواقف التونسية على جناحين أولا بموقف الشعب وموقف النخبة المثقفة(الزيتونية والصادقية) وثانيا حول إنعكاسات هاته السياسة على المجتمع التونسي من خلال شرائحه الإجتماعية المكونة له ومقومات هويته ثمة على المناهج والبرامج التعليمية التونسية .

وفي الأخير أنهينا الموضوع بخاتمة شاملة حول الموضوع وجزئياته .

7)- المصادر والمراجع .

تنوعت المصادر والمراجع التي إعتمدت لإنجاز الدراسة فقد تضمنت: كتب بالعربية بالإضافة إلى مقالات ومجالات ورسائل جامعية تفاوتت أهميتها حسب علاقتها بالموضوع .

ومن أهم المصادر:

- تونس الشهيدة لمؤلفه عبد العزيز الثعالبي من أهم مصادر تاريخ تونس الشارحة للإستعمار الفرنسي و مختلف سياساته في البلاد إبان فترة الحماية .
- هذه تونس لمؤلفه الحبيب ثامر الذي قدم لنا الكثير من النقاط المهمة التي مست السياسة التعليمية الفرنسية .

و من أهم المراجع:

- السياسة التعليمية الفرنسية في تونس (1883-1939م) لمحمد قدور التي تعتبر من أهم الخادمة للموضوع.

- تأثير نظام الحماية الفرنسية على التعليم في تونس (1881-1956م) لحماوي بوفلجة التي مست العديد من الجزئيات المهمة الخادمة للموضوع .

8)- الصعوبات .

بطبيعة الحال لا يخلو بحث علمي أكاديمي من بعض التحديات والعراقيل ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا في موضوعنا:

- تعذر علينا الحصول على المصادر والوثائق الأصلية التي تمس الموضوع.
- إزدواجية الموضوع إذ يحتوي على جزئيات ثقافية وإجتماعية .
- جائحة كورونا الظاهرة العالمية ، والتي منعتنا من التنقل إلى البلد المدروس تونس.

مدخل:

التعليم في تونس قبيل الحماية الفرنسية .

أولا: لمحة عن بداية الحماية الفرنسية على تونس.

ثانيا: التعليم و مؤسساته في تونس قبل الحماية الفرنسية.

أ)- الجوامع والمساجد.

ب)- الكتاتيب.

ج)- الزوايا.

د)- المدارس.

بداية من القرن 19م، عمت حالة الضعف بتونس بفعل التدخلات الأجنبية وكذا تزايد المساعي الإستعمارية؛ وتعد فرنسا من أكثر الدول الساعية لإحتواء تونس ذلك طبعا لعدة أسباب منها أنها وجدتها مركزا وملاذا أمنا لبسط نفوذها الإقتصادي والإجتماعي وهذا تمهيدا للإنقضاض النهائي على تونس وإعلان الحماية عليها. وتمثلت هذه الأخيرة في الإنحلال في مختلف الأصعدة خاصة الجانب التعليمي الذي غلب عليه الطابع التقليدي(أهلي) قبيل إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس مجسدا في ديار العبادة (الجوامع، الكتاتيب، الزوايا) ضف إلى ذلك التعليم العصري الحديث بمكتب باردو الحربي والمعهد الصادقي ومنه: فيما تمثلت مبررات إعلان الحماية الفرنسية على تونس؟ وكيف إتسم الواقع التعليمي التونسي قبل فرض الحماية ؟

أولا: لمحة عن الحماية الفرنسية لتونس.

بعد نجاح فرنسا بالنزول في الجزائر بدأت تتطلع في الوصول إلى تونس، والنزول بها والتدخل في جميع شؤونها الداخلية في الوقت الذي كان يعاني فيه الشعب التونسي من كاهل الضرائب؛ نفس الوقت التي كانت فرنسا تعاني فيه من الجانب الإقتصادي فبذلت مجهودات طامحة للسيطرة الشاملة على البلاد التونسية، وكانت اهتماماتها مختلفة ومتنوعة بإختلاف دوافعها السياسية والإستراتيجية والإقتصادية.

وقد غيرت فرنسا أسلوب إحتلالها عن الجزائر والذي تمثل في فرض نظام جديد جربته فرنسا في تونس، تمثل في نظام الحماية الذي تعهدت فيه بإحترام عادات وتقاليد التونسيين، لكن هذا الأسلوب أرادت به فرنسا أن تجعل من تونس" جزائر جديدة " أي إحتلال تونس بخسائر أقل وأرباح أكثر.

لكنها من قبل كانت تمهد لإحتلال تونس؛ فقامت بإثارة مشاكل بني الخمير[1] التي تسكن الحدود الجزائرية التونسية بأنها تقوم بالإعتداء والنهب ثم تعود إلى تونس بإعتبار أن الأراضي الجزائرية أراضي فرنسية؛ وتوالت أحداث أعمال السرقة والنهب المعتادة بين القبائل فإتخذت فرنسا عددا من الإجراءات لتأديب هذه القبائل ووقع إشتباك بين القوات الفرنسية

[1]– قبائل بني الخمير: هم عشائر جزائرية كانت قد هاجرت إلى تونس بعد إحتلال فرنسا للجزائر، وكانت متواجدة على الحدود الجزائرية التونسية، إتهمت هذه القبائل بتقديم المساعدة للثوار الجزائريين ضد سلطة الإحتلال الفرنسي وزعزعت الأمن والنظام ،ينظر: شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977 ،ص 307 .

والقبائل التونسية وهو الإشتباك الذي خطط لها الضباط الفرنسيون بدقة في الجزائر و مكن فرنسا من غزو تونس و فرض الحماية عليها[1].

وعندما أستشير بسمارك مستشار ألمانيا حول التدخل الفرنسي للأراضي التونسية أعطى موافقته و تأييده الكامل للتدخل الفرنسي وقام جول فيري(Jule Ferry)رئيس وزراء فرنسا(1880- 1885) المتحمس لإحتلال تونس بإعلام البرلمان الفرنسي بحادث توغل القبائل يوم الرابع من نيسان 1881م وطلب بتخصيص إعتماد مالي للقيام بعملية عسكرية "بحجة ردع القبائل" على الحدود التونسية.

أما باي تونس فإنه عندما سمع بحادث توغل القبائل والموقف الفرنسي من هذا الحادث أمر بالتحقيق مقترحا معاقبة الجناة؛ بإرسال قوات تونسية لمحاسبتهم، فرفضت الحكومة الفرنسية وظلت تحشد الجيش الفرنسي على الحدود التونسية[2]،وفي يوم 24 أفريل 1881م تسربت كتيبة فرنسية تضم 35,000 رجل من الجزائر إلى البلاد التونسية بقيادة الجنرال لوجيرو(Logerot) فإحتلت مدينة الكاف في 26 أفريل وسوق الأربعاء وفي التاسع والعشرين من نفس الشهر وعين دراهم يوم 11 ماي وفي نفس الوقت قامت وحدة المشرق البحرية بإحتلال طبرقة يوم 26 أفريل بعد أن قصفتها بالقنابل، وفي الفاتح ماي إستسلمت مدينة بنزرت بدون أدنى مقاومة.

وفي 12 ماي 1881م دخل الجنرال "بريار" في حامية إلى قصر باردو بمعية القنصل الفرنسي روستان بعد أن أعلم الباي رسميا بهذه المقابلة وما كان من الباي إلا أن يخضع

---

[1] – عز الدين معزة : **فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م/2000م**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بوصفصاف عبد الكريم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2009 – 2010 م ، ص ص 17 – 18 .

[2] – محمد عصفور سلمان: الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوروبي منها، **مجلة ديالا**، ع السادس والخمسون، كلية التربية للعلوم الإنسانية 2012م،ص ص 4- 5 .

ويوقع على معاهدة باردو التي تكرس الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية[1]،ومنه تونس مستعمرة فرنسية عام 1881م.

ثانيا: التعليم والمؤسسات التعليمية في تونس قبل إنتصاب الحماية الفرنسية .

1)- التعليم في تونس:

قبيل الحماية الفرنسية على تونس، كان الواقع التعليمي التونسي مجسدا في المؤسسات التعليمية الدينية السائدة (الكتاتيب، فروع الجامع الأعظم، وجامعة الزيتونة)، هذا بالإضافة إلى المدارس التي أنشأها خير الدين باشا قبيل الحماية والمتمثلة في: مكتب باردو الحربي، المدرسة الصادقية[2].

فالتعليم في المجتمع التونسي إكتسى أهمية بالغة، وكان في أول أمره بتونس في ديار العلماء وفي أقرب المساجد إليهم وكان لجامع الزيتونة حظ وافر من دروس أهل العلم من عهد علي بن زياد صاحب مالك، إلا أنهم ما كانوا يقتصرون عليه وكان الذي يدعوهم إلى إلقاء الدروس بالجوامع هو قلة المدارس وبساطة أهل البلاد فلم يكن لهم من المواضع العامة غير المساجد[3].

تميز النظام التعليمي الأصيل بتونس قبيل الحماية، بكونه نظاما لم يتغير عبر العصور كغيرها من البلدان الإسلامية سواء في القرى أو المدن، من خلال إستناده إلى القرآن الكريم حيث يتم التركيز في التعليم الأولي على الحفظ عن طريق الترديد، ويلتزم الفقيه الذي يحفظ القرآن، بتدريسه لتلامذته، وعليهم تعلم الأبجدية العربية والخط على الألواح الخشبية، التي يحتفظ بها في المسجد وتتوارثها الأجيال، فالتعليم التقليدي الأصيل كمنظومة ومؤسسات في طابعه العتيق يساير البنيات التقليدية المتواجدة ويحافظ على إستمرارها ويعيد إنتاجها.

---

[1] – علي المحجوبي: **ما يجب أن نعرفه عن إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس** ،تر: عمر بن ضو وآخرون،ب– ط، سراس للنشر ، تونس ،1986م، ص 44 .

* معاهدة باردو: هي معاهدة مبرمة بين فرنسا وباي تونس غداة الإحتلال في 12 ماي 1881م، وجاء في بندها الثاني: "لقد رضي سمو باي تونس بأن تحتل القوات العسكرية الفرنسية المراكز التي تراها صالحة لإستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل"، ينظر:مسعودة مسعود بوالخضرة: **الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي**،المكتبة العصرية، ط1، بيروت،1995 ،ص ص31–32 .

[2]– سعيد توفيق عزيز البزاز: الحراك السياسي لطلبة جامعة الزيتونة في مواجهة الإحتلال الفرنسي،**مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية**،مج 14 ، ع 2، كلية الموصل – كلية الآداب ، 2019م، ص 168 .

[3] – محمد الطاهر إبن عاشور: **أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي** ، ط2 ،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2008م ، ص 76 .

كما إرتبط هذا التعليم التقليدي بأماكن العبادة (مساجد، جوامع، زوايا، كتاتيب) ويقدم تعليما محدودا خاصا بنخبة محظوظة، لها الإمكانيات المادية لمساعدة أبنائها على مواصلة الدراسة، وتبقى أساليب هذا التعليم تقليدية من حيث الاعتماد على الذاكرة والتكرار، إذ يعامل المتعلم الصغير وكأنه راشد، وعلى الحكم المعرفي والتحمل والاستيعاب، لإرتكازه على العلوم النقلية في غياب للعلوم العقلية، فالهدف الأساسي من هذا التعليم هو الحفاظ على إستمرارية نخبة ثقافية متشبعة بالتعاليم الإسلامية وإتقان اللغة العربية وقواعدها لتدبير شؤون الدولة والمجتمع وإعادة إنتاجهما[1].

ومنه فإن التعليم في تونس قبيل الحماية الفرنسية، كانت مؤسسات العلم والمعرفة متعددة ومتنوعة تكاد تنحصر في أماكن العبادة والطاعة ذات غاية واحدة وهي بالأساس تثبيت وترسيخ العقيدة الإسلامية ومبادئها في أعماق المجتمع التونسي، وإكتساب المعارف المؤسسة لها بدءا من القرآن الكريم وحفظه والفقه، والعلوم ذات الصلة به إلى جانب ذلك النحو والصرف والبلاغة وأسس اللسان العربي الفصيح وغيرها من له دعامة للإسلام والعقيدة .

2)- المؤسسات التعليمية في تونس:

أ)- الجوامع والمساجد:

زخرت البلاد التونسية بالعديد من الجوامع والمساجد وتعددت على أرضها والتي تصل إلى حوالي 500 مسجدا والتي تغطي كل المحطات التاريخية، كان من أشهرها جامع القيروان والزيتونة حيث كان هذا الأخير مقصد لطالب العلم والعبادة:

جامع عقبة بن نافع: بناه عقبة بن نافع الفهري بمدينة القيروان، الذي أسسه سنة(50 – 55هـ) للهجرة[2].

جامع الزيتونة: وهو ثاني الجوامع بعد جامع عقبة بن نافع التي عرفتها تونس بعد الفتح الإسلامي، لقد إختلفت الروايات والآراء حول تحديد تاريخ تأسيسه قيل سنة 110هـ/728م

---

[1]- أحمد سوالم:**إصلاح التعليم بتونس خلال القرن التاسع عشر**،مج2، العدد 04 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة ابن طفيل، القنيطرة ،المغرب ، ديسمبر 2020، ص 135 .

[2] – محمد الباجي بن مامي: **جامع الزيتونة أهم معالم مدينة تونس الأثرية والتاريخية** ، المعهد الوطني للتراث ، تونس، ص 1.

وقيل 116هـ/734م ،وينسب أمر تشييده إلى عبيد الله بن الحبحاب و إلى هشام بن عبد الملك كما ينسب إلى الحسان بن النعمان الغساني فاتح تونس وقرطاجنة .

أما عن تسميته بالزيتونة فيعود أصل التسمية لأنه بني في موضع كان مشجرا بالزياتين وقطعت كلها، ولم يبق منها غير زيتونة واحدة سمي بها الجامع[1] .

ويعد جامع الزيتونة* أول جامعة علمية إسلامية، فتحت أبوابها أمام طلبة العلم والمتعطشين للمعرفة والباحثين عن أسرار الدين الجديد، فأمته أعداد هائلة من طالبي المعرفة فهو إلى جانب الأزهر بمصر والأموي بسوريا والقرويين بالمغرب أكبر حصن للغة العربية والشريعة الإسلامية[2]، إشتهر الجامع منذ القدم بدوره في بث العلم الشرعي، لكنه لم يستقل بذلك، بإعتباره مدرسة دينية تقليدية حيث يتم تدريس الفقه الإسلامي والشريعة[3] .

كانت جامعة الزيتونة في تونس منذ 1873م تشرف على جميع مؤسسات التعليم التقليدية(الكتاتيب– حلقات الدرس في الجوامع) بالبلاد بمستوياتها المختلفة وإنتشرت فروعها في أغلب مناطق البلاد إذ تقوم بتأهيل الناجحين منهم للإلتحاق بالجامعة الزيتونية بالعاصمة وفروعها بالوسط والجنوب[4] .

❖ **النظام التعليمي بالزيتونة:**

كانت الجامعة تتابع مهمة التدريس لكل ما تعلق بالأدب واللغة والتشريع من فقه وأصول وحديث وكل ما إتصل من علوم بفهم الإسلام وتطوير الإجتهاد ونشر الدعوة لقرون طويلة تقسم العلوم التي تدرس بالزيتونة حسب الاصطلاح إلى علوم عقلية وأخرى نقلية فالعلوم النقلية (الشرعية) هي علم التفسير، التوحيد وأصول الفقه والحديث، التجويد وما إلى ذلك.

---

[1] – كاتب مجهول: جامع الزيتونة ،**مجلة الوعي الإسلامي** ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ع 532، الكويت ، 3 سبتمبر 2010م ، ص 1.

* ينظر: الملحق رقم: 01.

[2] – المنجي السعيداني: جامع الزيتونة المعمور... منارة للعلم والمعرفة على مر العصور، الشرق الأوسط **جريدة العرب الدولية**، تونس ، ع 10572 ، الخميس 28 شوال 1428هـ / الموافق ل 8 نوفمبر 2007 م، 1.

3– Jean Ganiage, (Ali Mahjoubi) : **L'Établissement du protectorat français en Tunisie**. In: Revue française d'histoire d'outre–mer, tome 65, n°238, 1er trimestre 1978. pp. 118–119, https:// www.persee.fr/doc/outre_ 0300_9513_1978_num_65_238_4732 , Fichier pdf généré le 06/01/2019,date de visite: 09/04/2022, le temps:12:21 .

[4] – سعيد توفيق عزيز البزاز: المرجع السابق ،ص 165 .

أما العلوم العقلية(الوضعية)من أهمها: النحو والصرف، اللغة، الآداب، البيان، التاريخ والحساب، المنطق، الهندسة، المعاني والعروض والخط ،الرسم وغير ذلك.

وكانت الجامعة تمنح لتلاميذها وطلبتها شهادات تخرجهم في جميع مستويات التعليم ومن الشهادات المكتسبة من خلال تدريس الطالب بالزيتونة منها: شهادة الأهلية ويتحصل عليها التلميذ إثر المرحلة الإبتدائية تليها" شهادة التحصيل" في العلوم والقراءات ينالها الطالب عند إنتهاء المرحلة الثانوية وأخيرا الشهادة العالمية وهي على ثلاث أصناف شهادة في العلوم الشرعية وأخرى في الآداب وثالثة في علوم القراءات[1] .

وعمل أحمد باي الأول[2] والي تونس في عهد الدولة الحسينية إلى إعادة إعمار مكتبة جامع الزيتونة فأعاد لها نضارتها وزودت خزانته بغالب الكتب[3]؛ حتى عرفت المكتبة بإسم المكتبة الأحمدية أو المكتبة العبدلية[4]حيث إشتملت على نحو 20 ألف.

كان للجامع دور عظيم في تثبيت العقيدة الإسلامية وبث علوم الشريعة والآداب العربية، كما كانت به إسهامات مباركة في إشعاع الحضارة الإسلامية على تونس وأرجاء البلاد[5]، بالإضافة إلى الدور الديني المهم الذي لعبه جامع الزيتونة كمنارة للعلم والمعرفة، كما كانت له أدوار متقدمة في مختلف مراحل النهضة الاجتماعية والثقافية(العلمية) التي عرفتها تونس.

ولم تكتف جامعة الزيتونة بالتالي بلعب دور المنارة الذي تشع بنورها العالم بعلمها الصحيح ومعارفها القيمة، بل كانت إلى جانب ذلك قاعدة التحرر والتحرير من خلال تخرج دفعات من الزعامات الوطنية التي سعت إلى ترسيخ الوعي بالهوية العربية الإسلامية للبلاد خاصة إبان سنوات الإحتلال، فقد تخرج من أروقة جامع الزيتونة علماء أفذاذ ومصلحون ذو صيت كبير أمثال: عبد الرحمن ابن خلدون، محمد بن عرفة، الطاهر إبن عاشور، محمد الخضر

---

[1] – كاتب مجهول: جامع الزيتونة ، المرجع السابق ، 2.

[2] – أحمد باي: هو أحمد باي بن مصطفى، أول مشير على تونس سنة 1837م حيث أدخل العديد من الإصلاحات من، إصلاحات اقتصادية، وعسكرية أنشا مدرسة باردو الحربية، إقتبس من خلال زيارته لأوروبا أساليب حديثة أدخلها على جيشه، سافر إلى باريس، توفي سنة 1855 م، ينظر: خير الدين الزركلي ، **الأعلام** ، ط1 ،دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 2002م ، ج1 ،ص ص257– 258 .

[3] – حسن حسيني عبد الوهاب: **خلاصة تاريخ تونس**،ط 3 ، دار الكتاب العربية الشرقية ، تونس ، ص169.

[4] – محمد بن الخوجة : المصدر السابق ،ص 289 .

[5] – كاتب مجهول: المرجع السابق ، ص2.

حسين شيخ جامع الأزهر، المصلح الزعيم عبد العزيز الثعالبي، أبو القاسم الشابي، الطاهر الحداد[1].

ب)- الكتاتيب:

منذ سن الخامسة لمدة ثمانية أعوام أو أكثر يتردد الأطفال على الكتاتيب طبقا للقاعدة العامة المتبعة قبل الرقي إلى درجات العليا لطلب العلم تعرف على أنها مدارس لتعليم القراءن الكريم وأصول ومبادئ القراءة والكتابة يزاولها الأطفال المسلمين. وكان لكل قرية أو حي كتابه الخاص به والذي يشغل غالبا جزءا من مسجد أو زاوية، وقد شكلت الكتاب في تونس نظاما مكتفيا بذاته وصمام آمان لإستمرارية المؤسسة الدينية والتعليم الإسلامي في تونس بإعتبارها المرحلة الأولى من مراحل التنشئة والتعليم .

كان المدرس(المؤدب) معلما فقيرا لا يكاد عمله يتجاوز مبادئ الكتابة والقراءة في الغالب الأعم؛ يمتاز بقدرة تلاوة القراءن الكريم كاملا عن ظهر قلب، صارم الطبع لديه هيبة عند تلاميذه، ويمتلك عصا كانت عقاب تلامذته عند عدم إتمام الحفظ أو أية .

يستخدم أطفال الكتاتيب الألواح الخشبية وعليهم كتابة الآيات القرآنية التي يمليها عليهم المؤدب ببطء في تعلم الخط العربي كذلك، مبتدئين بأقصر السور تدريجيا نحو أطولها، وكانوا كل يوم يكتبون الآيات التي يحفظونها لليوم الموالي وفي كل هفوة في النطق أو الكتابة يكافأ بعدد مناسب من ضرب العصا ويستمر إلى أن يختم القراءن حفظا وتلاوة[2].

إتصلت الكتاتيب ببعض زوايا الطرق الصوفية من بينها الطريقة القادرية والرحمانية، وإستمرت الكتاتيب في تأدية دورها التعليمي بإعتبارها النواة الأولى للتعليم العربي في تونس بشكل خاص والبلاد الإسلامية على العموم إلى نهاية القرن التاسع عشر[3] .

بلغ عدد الكتاتيب بتونس قبيل إنتصاب الحماية الفرنسية حوالي الألف منها111 كتابا بمدينة تونس لوحدها سنة 1879م .

---

[1] – المنجي السعيداني: المرجع السابق ،ص 1.

[2] – **الكتاتيب قبل الحماية وبعدها** ،الموسوعة التونسية المفتوحة، www.mawsouaa.tn، شوهد يوم 6 ماي 2022 على الساعة 18:44 .

[3] – خير الدين شترة : **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900-1956م)** ، ط2 ، ج1 ، دار كردادة، الجزائر، 2013م ، ص 677 .

كانت أبنية هذه الكتاتيب البعض منها إن لم نقل أغلبها في حالة رثة وقليلة التهوية ومفروشاتها بالية ، وهذا يعزى في الغالب الأعم إلى سوء تصرف وكيل الأوقاف .

ج)- الزوايا:

إعتبرت الزوايا مكانا للتعليم بصبغة صوفية، ونقاط إلتقاء مشايخ الصوفية، والفقراء والمريدين من كل مكان، وخصصت إقامة للمسافرين، كما عدت معهدا علميا يتلقى فيه تلاميذ القرآن الكريم ، يتلقون مبادئ العربية، وبعض المتون في الفقه أو اللغة، يتغذون بمبادئ الطرق الصوفية، وأقوالهم[1]، إتخذت من البوادي والقرى مجالا واسع الإنتشار لها، وغالبا ما تكون الزوايا مرتبطة بضريح أحد المرابطين والمشايخ من أهل الزهد والكرامات، تتواجد بها بيوت للوافدين عليها من زوار أو طلبة، والحجيج الذين في طريقهم إلى الديار المقدسة، أو العائدين[2] منها قصد الإستراحة، وغالبا ما تحتوي على مطعم وتحبيس أملاك، وكانت تنظم فيها البعض من الدروس .

كانت مصدر مواردها المالية الصدقات، والزكاة، والهبات[3]،توجد بمدينة تونس العديد من الزوايا التي تعود تأسيسها لمئات السنين ومنها نذكر :

- **زاوية سيدي عبد القادر:** تقع بنهج الديوان شرع في بنائها سنة 1263هـ/1846م وإستمرت الأشغال إلى سنة 1267هـ/ 1850م وأدخل في الزاوية المذكورة مسجد شيوشيو العتيق .

- **زاوية سيدي براهم:** مقرها بنهج العزافين قرب سوق النحاس ، يعود تاريخ تأسيسها إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجريا السابع عشر ميلاديا .

- **زاوية سيدي علي العزوز:** أسسها علي باشا الثاني الذي تولى الحكم من سنة 1172-1196هـ/ 1781- 1172م .

---

[1] - خير الدين شترة: المرجع السابق ، ص 675 .

[2]- نفسه ، ص 675 .

[3] - نفسه : ص 675 .

- **زاوية سيدي إبراهيم الرياحي**[1] **1266- 1180هـ/ 1850- 1766م:** بناها الأمير أحمد باي الأول سنة 1267هـ/1850م، وجدد قبتها المشير محمد الصادق باي سنة 1295هـ/1878م.

- **زاوية سيدي الكلاعي:** مقرها بنهج سيدي بن عروس تأسست في نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي .

- **زاوية سيدي أحمد بن عروس الهواري** : الذي وافته المنية سنة 868هـ/1463م مقرها بنهج سيدي بن عروس عدد 23 محاذية لجامع حمودة باشا المراحي، وكان يسكن بالفندق الذي نقصه أبو عبد الله المنتصر وأقام به الشيخ زاوية ليسكنها من وفاته سنة 868هـ/1463م .

- **زاوية سيدي محرز:** صاحب هذه الزاوية الإمام محرز إبن خلف توفي سنة 413هـ/1022م، وقد كانت هذه الزاوية داره في حياته ولما توفي دفن فيها، كما ضمت سقيفة هذه الزاوية مقابر جماعة من سلاطين الدولة الحفصية وآلهم ، جددت مرارا في القرون الماضية[2] .

- **زاوية سيدي مدين:** تقع ببطحاء سيدي المشرف بالحجامين بمدينة تونس، بناها محمد حسين الثاني بن محمود الذي تولى الحكم من سنة 1271/1276هـ – 1855/1859م .

- **زاوية سيدي أبي لبابة الصحابي:** عملها حسن بن الطيب التونسي بنيت بقابس سنة 1291هـ/1874م.

- **الزاوية العيساوية:** تقع بجارة قابس أنشئت سنة 1293هـ/1876م .

- **زاوية سيدي المحجوب:** تقع بقصور الساف إشتهرت على أنها من منشآت علي باشا الثاني(1759/1777م) .

- **زاوية سيدي عمر عبادة:** بالقيروان بناها محمد الصادق باي سنة 1276هـ/1859م[3].

---

[1] – إبراهيم الرياحي : ولد بتستور سنة 1756م ،التحق بالحاضرة للتعليم ، تولى عدة مناصب ،كما أرسل في عدة مهام دبلوماسية، توفي سنة 1850م ، ينظر: التليلي العجيلي: **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939)** ، مج 2 ، منشورات كلية الآداب ، جامعة تونس 1 – منوبة ، 1992 ، ص 43 .

[2] – مجلة التراث التونسي : **زوايا مدينة تونس** ، WWW.Turathy.tn ، شوهد: 13 ماي 2022م ،على الساعة 16:22 .

[3] – **أشهر الزوايا** : الموسوعة التونسية المفتوحة ،www.mawsouaa.tn ، شوهد يوم15 ماي 2022م ، 18:08 .

رغم الطابع الديني الذي طغى على نشاط الزوايا فإن هذه المؤسسات العريقة كانت لها وظائف متنوعة ومتعددة، فكانت فالبداية تقتصر على النشاط الصوفي الذي يهدف إلى تربية المريدين وتنظيم مجالس الذكر وتدريس العلوم الشرعية وفي مقدمتها القراءن والفقه ، ثم جاء دورها الإجتماعي بتحولها إلى فضاء لإستقبال المسافرين والزائرين والطلبة ، تنوعت الموارد المالية الزوايا بعد توسع نشاطها وهذا بفضل العطاءات الموسمية وغير الموسمية والأوقاف.

د)- المدارس:

إعتبرت نشأة المدارس بتونس من أهم عوامل إزدهار الحياة العلمية والتعليمية، فقد عهدت إلى زمن الحفصيين لتلقين الفقه واللغة وتدريس الأدب وتفسير القرآن، وإشتملت أيضا مواد التدريس العلوم الغير دينية نظرا لارتيادها من قبل الأندلسيين والوافدين عليها من ربوع الدول ومن هذه المدارس من أقيمت على مقربة من المساجد، خصصت فيها مقرات إقامة القاصدين من بعيد، يشرف عليها قيم يتولى مسؤولياتها،ومن بين هاته المدارس في تونس قبل الحماية الفرنسية نذكر:

1- مدرسة باردو الحربية: أسسها المشير أحمد باي(1837-1855م) في غرة محرم 1256هـ/5 مارس 1840م[1]، بغية أن تكون له مؤسسة تربوية تعليمية تعنى بتخريج ضباط الجيش النظامي، كان الهدف منها تكوين الضباط على أسس علمية للجيش الجديد[2]، وتقديم تعليم عسكري في مجال الفنون الحربية على النمط الاوروبي،أطلق عليها عدة مسميات منها" مكتب الحرب" و" مكتب العلوم الحربية" .

[1] - أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ب ط، مج2 ،ج4 ،الدار العربية للكتاب، تونس، ص ص36-37 .

[2]- الشيباني بن بلغيث : **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي(1859- 1882)** ،تق: عبد الجليل التميمي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة صفاقس، تونس، 1995م ، ص 56.

بدأت عملها ب 50 تلميذا ينتمي غالبيتهم إلى الطبقة الحاكمة وأمراء العائلة الحسينية وصغار المماليك وبعض أبناء البلاد المقربين من السلطة لتلقينهم فنون الحرب نظريا وتطبيقا، كان أول مدير لها المستشرق الإيطالي" كاليقاريس"[1] ومكث فيها مديرا لمدة 13 سنة ثم خلفه الضابط الفرنسي " كمبنون"[2].

أما عن هيئة التدريس بها فقد ضمت أساتذة وضباط أوروبيين كان للفرنسيين النصيب الأكبر في التدريس إلى جانب بعض الإيطاليين والتونسيين في العلوم العربية والدينية أشهرهم محمود قبادو[3]، تمثلت مهمتهم في تلقين برنامج متنوع ومتعدد مستوحى من النظم الأوروبية ويستند على البرامج التعليمية المعتمدة بالمدارس والمؤسسات العسكريّة الفرنسيّة، يشتمل على اللغة العربية والقرآن الكريم وعلم النحو العربي واللغات الفرنسية والايطالية وعلم المساحة والجغرافيا أما العلوم الخاصة بالفن العسكري فهي علم الصناعات الحربية وصناعة الطبنجة وعلم القوانين العسكرية وكيفية تعمير المدافع وصرفها[4]،وكان الهدف التي ترمي إليه المدرسة من خلال العلوم العصرية التي تدرس فيها هو جعل تونس تسير على خطى النمط الحضاري والتقني الأوروبي، غير إن هذه المدرسة لم يتواصل عملها بذهاب مؤسسها ومبايعة خلفه محمد باي سنة 1856م[5] .

---

[1]– لوي كاليقاريس: ولد سنة 1808م بمدينة تورينو بإيطاليا، حيث قدم إلى تونس سنة 1834م عمل كمدرب لنواة الجيش النظامي في عهد مصطفي باي(1835 – 1837م)، ثم عين مديرا للمدرسة باردو ودرس فيها الرياضيات والعلوم العسكرية، ثم عاد إلى إيطاليا بعد الوحدة الايطالية حيث عين أستاذا للغة العربية بمدينة تورينو، توفي سنة 1871م، ينظر:الشيباني بن بلغيث: **أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر**، ط1 ،مكتبة علاء، صفاقس – تونس ، 2008م، ص24

[2] – الشيباني بن بلغيث: الجيش التونسي....، المرجع السابق، ص 56 .

[3] – محمود قبادو: هو مصلح وشاعر تونسي ولد سنة1821م بتونس، تدرج في العديد من الوظائف من بينها تعيينه مفتي بالمجلس الشرعي ثم قاضيا بباردو، توفي سنة 1871م ، ينظر: الصادق الزمرلي:**أعلام تونسيون**، ط1 ،تق وتع، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1986م، ص ص64 – 70 .

[4]– عبد المولى محمود: **مدرسة باردو الحربية**، دراسة وتحقيق، الدار العربية للكتاب،ليبيا– تونس،1397ه/1977م ،ص18

[5]– خير الدين شترة : المرجع السابق ، ص683.

ومع هذا فإن المدرسة كانت الأثر البارز من إصلاحات أحمد باي[1] ولقد تركت أثرا هاما في الحياة الفكرية التونسية في تلك الفترة بتخرج منها العديد من رموز الإصلاح بتونس خلال القرن التاسع عشر كالجنرال حسين وخير الدين باشا[2] الذي تولى الوزارة الكبرى .

2-المدرسة الصادقية(المعهد الصادقي): وهي أول مدرسة تونسية على الطراز الحديث تأسست بمقتضى الأمر الصادر في 13 يناير 1875م على يد خير الدين باشا نسبة إلى الباي محمد الصادق[3]،وعين محمد العربي زروق[4] كأول مدير لها، تأسست هذه المدرسة نتيجة لإنبهار وإعجاب خير الدين باشا بالحضارة الغربية ومقوماتها.

وهي مؤسسة عمومية تقدم التعليم بالمجان للشباب التونسي وتدرس العديد من المواد والموضوعات التي لم يتم تدريسها بالزيتونة وتهدف هذه الخطوة إلى تحديث التعليم في تونس وعصرنته وجعله أكثر قدرة على تخريج وتدريب أطر تنفيذية أكثر[5]، وتلقن هذه المواد عن طريق أعلام زيتونيين وأساتذة فرنسيين[6] للغات الأوروبية من بينها اللغة الفرنسية والإيطالية

---

[1] – الشيباني بن بلغيث: الجيش التونسي .....، المرجع السابق ، ص 57 .

[2] – خير الدين باشا: شركسي الأصل، قدم صغيرا إلى تونس إتصل بصاحبه أحمد باي، تعلم بعض اللغات، وزير ومؤرخ من رجال الإصلاح الإسلامي وتقلد مناصب عالية، كما له كتابه الشهير أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، ينظر: خير الدين الزركلي:المرجع السابق،ج 2، ،ص375.

[3] – محمد الصادق باي: ولد في 7فيفري1813م، إعتلى العرش يوم 23 سبتمبر1859 بعد وفاة المشير أحمد باشا، قام بعدة إصلاحات، توفي يوم 18 أكتوبر1882م، ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ج5 ،ص ص13 – 14.

[4]– العربي زروق: وهو محمد العربي زروق ولد بتونس سنة 1823م دار بباردو كما أسندت إليه رئاسة المجلس البلدي لمدينة تونس وعين أول مدير للمدرسة الصادقية،سمح له تكوينه بدخول الجيش التونسي برتبة الماريشال ثم إرتقى إلى رتبة أمير لواء في عهد محمد الصادق باي وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م أستقيل من منصبه، ينظر: أحمد بن أبي الضياف : المصدر السابق ، ص ص 132 – 134 .

1- Noureddine Sraieb: **l'idéologie de l'école en Tunisie coloniale (1881 – 1945)**,Revue du monde musulmanet de la Méditerranée ,N° 68- 69, 1993,Etats modernes ,nationalismes = et islamismes. pp 239 – 254 ,https:// www.parsee.fr/doc/remmm_0997_1327_1993_num_68_1_2570, généré le 22/04/ 201 .visite le 10/05/2022. Le temps: 19:30 .

[6] – خير الدين شترة، المرجع السابق، ص703 .

بالإضافة للغة التركية، يترأس هؤلاء الأساتذة الفرنسيين العالم " نوسن روكا" كما جهز المدرسة بقاعة للتمريض ومكتبة ومسجد يؤمها الإمام البارودي[1] .

وإستطاعت المدرسة أن تجلب اهتمام التونسيين وتمنحهم ثقافة عربية إسلامية وتعليما عصريا، كما أرسلت بعثات طلابية إلى فرنسا 1882م بهدف تكوين نخبة مثقفة علمية وظلت الصادقية في مسار الرقي والتقدم حتى نظمت فيها العديد من القصائد منها قصيدة للأديب التونسي الشيخ الباجي المسعودي مطلعها:

الصادقية حسنها بهر الورى فأجل لحاظك معجبا ومفكرا

وعن طريق هذه المدرسة والتعليم العصري التي تقدمها تمكنت من إطراء تحولات جذرية مست المجتمع التونسي من خلال إضفاء العلوم العصرية الحديثة واللغات الأجنبية على المؤسسات التعليمية الحديثة بعد أن كان الطالب التونسي يزاول تعليما دينيا تقليديا محض في مؤسسات قديمة مرتبطة بديار العبادة[2] .

لقد شكل المعهد الصادقي* إحدى بوادر التجديد التعليمي قبل الحماية لمساهمته في إخراج المدرسة من المسجد إذ أصبحت مستقلة عنها، كما ساهم في تكوين نخبة مثقفة متشبعة بالحرية والتطور والتقدم ورافضة للتزمت والإنغلاق بجميع تجلياته وألوانه[3] .

---

[1] – محمد بن الخوجة:**صفحات من تاريخ تونس**،تح:حمادي الساحلي،الجيلالي بن الحاج يحيى ،ط1، دار الغرب الإسلامية ،لبنان ،1986م، ص 312 .

[2] – زاهية قدورة: **تاريخ العرب الحديث** ،ب– ط، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، 1985م ،ص 472 .

* ينظر : الملحق رقم: 02 .

[3] – أحمد سوالم : المرجع السابق ،ص 138 .

الفصل الأول:

التعليم الفرنسي في تونس 1881-1930م.

أولا: منطلقات السياسة التعليمية الفرنسية .

1)- المشاريع التعليمية الفرنسية .

2)- الهيئات المشرفة على التعليم الفرنسي في تونس.

ثانيا: أنماط ومراحل التعليم .

1)- أنماط التعليم .

2)- مراحل التعليم .

ثالثا: المؤسسات التعليمية الفرنسية في تونس .

1)- المدارس الخاصة بالذكور .

2)- المدارس الخاصة بالإناث .

3)- مدارس مختلطة .

4)- المدارس الأوروبية المسيحية .

أولا: منطلقات السياسة التعليمية الفرنسية .

1)- المشاريع التعليمية الفرنسية .

منذ بداية فرض الحماية الفرنسية على تونس هدفت فرنسا على تحطيم اللغة العربية وخلق مجتمع غربي مفرنس بعيدا كل البعد عن تاريخه وماضيه، فإنتهجت العديد من الطرق والأساليب لتحقيق ذلك ولعل أبرزها المشاريع التعليمية الفرنسية التي بالرغم من اختلاف ظروف نشأتها إلا أن هدفها واحد ومشترك، ومنه فيما تمثلت هذه المشاريع التي بنيت عليها فرنسا سياستها التعليمية ؟

أ- مشروع جول فيري 1880-1882م :

كانت خطة فيري[1](FERRY) القاضية بإنجاز حملات جس النبض في أواسط مختلف الجاليات وخاصة بين السكان المسلمين والوصول إلى نتائج يمكن الإعتماد عليها في تنفيذ برنامجه[2] ،ولقد إستقى جول فيري خطته هذه من التجربة الفرنسية الخاصة بالمدارس الإبتدائية بإقتراح مشروع مدرسة للمسلمين(Ecole musulmane) التي يقوم فيها المعلمون العرب بتدريس الفرنسية للعرب المسلمين.

ويمكن القول إن مشروع فيري كان يرمي إلى الإبقاء على إحترام الهوية الدينية يليه وبغرض الإدماج فرنسة العنصر التونسي عبر المدرسة الفرنسية وبصفة خاصة إنطلاقا من اللغة الفرنسية نفسها ومن جهتها شكلت مسألة التكوين المهني بالغة الأهمية لدى السياسيين والناشرين بإعتبارها عنصر تشجيع للإستيطان الفرنسي[3].

---

[1]- جول فيري (Jule Ferry) : رئيس وزراء فرنسا (1885/1880م) المتحمس لإحتلال تونس ،ينظر:محمد عصفور سلمان: المرجع السابق ،ص 6 .

[2] - محمد قدور: **السياسة التعليمية الفرنسية في تونس 1883 -1939** ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ،اشراف:حباسي شاوش، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003 - 2004 م، ص 38 .

[3]- بوفلجة حماوي،محمد حماوي:**تأثير نظام الحماية الفرنسية على التعليم في تونس 1881-1956م**،مذكرة لنيل شهادة الماستر ،تخصص المغرب الحديث والمعاصر ،اشراف:محمد مرغيث،جامعة أحمد دراية،أدرار،2019-2020 ،ص 46.

ب- مشروع جون جوسران[1](Josserand) 1881م.

إقتنع جوسران بأن تعليم اللغة الفرنسية للتونسيين يعد أحسن وسيلة مؤهلة لإدماجهم، إلا أن ذلك لم يكن ليعتبر الأداة الوحيدة حيث كان مقتنع "**إن انجاز مهمة الإدماج بواسطة الدين المسيحي يعد أمرا صعبا** " بفعل عنصر المناعة الذي كان يتمتع به المسلمين حيث لم يكن من السهل تحويل التونسيين عن أصالتهم وأمام هذه الوضعية كانت فكرة تعليمهم الفرنسية أقل جهدا حتى تكون النتيجة إنتقال كم معتبرا من الأفكار الأوروبية إليهم لكن في[2] نفس الوقت طالب جوسران بضرورة عدم الإقتراب من المدارس الدينية عبر المضايقة والعمل على تشجيع البعض منها .

فالعناية التي أولها جوسران لقضية تعليم أبناء تونس من المسلمين مرجعها إلى إدراكه مدى الكم الهائل من التونسيين الذين يتخذون من المدارس الدينية معقلا لتعلمهم نظرا لتوفرها على الأفكار والأعراف التي لا يرون مجالا للتفريط فيها مهما كانت الإغراءات وهو ما لم يكن موجودا في المدارس الحكومية. وقد إقترح جوسران تعيين مدرسيين من الجزائريين المسلمين الذين إكتسبوا اللغة الفرنسية حتى يكونوا محفزا قويا للتونسيين للإلتحاق بهذه المدارس.

ومما يعاب على برنامج جوسران أنه جاء مفتقدا لمحتوى التعليم الواجب التركيز عليه في المراحل الأولى خاصة كما أنه إفتقر إلى أهداف واضحة المعالم إنطلاقا من الضبابية التي ميزت محاوره الكبرى[3].

ج- خطة لجنة الشؤون التونسية[4]1882 م :

هدفت هذه اللجنة من خلال نشاطها إلى إعادة تنظيم تونس وأمورها المختلفة ففي تقريرها المنبثق عن المناقشة التي تمت بتاريخ 16 مارس 1882م ذكرت هذه اللجنة " إن التعليم الإبتدائي والى غاية اللحظة إستمر محافظا على طابعه الديني الخالص وأية مناقشة عامة حول هذه المسألة من شأنها أن تؤدي إلى نتائج قد تحرمنا من وسائل ثمينة للتحرك

---

[1]- جون جوسران: كان محررا سياسيا برئاسة الجمهورية الفرنسية والمسؤول المباشر على شؤون تونس،قدم إلى تونس في منتصف 1881م من أجل دراسة مشاكل البلاد ،ينظر : بوفلجة حماوي : المرجع السابق ،ص 46.

[2]- نفسه، ص 46.

[3]- نفسه، ص47 .

[4]- لجنة الشؤون التونسية:هي لجنة ضمت شخصيات سياسية وعلمية من أجل تونس وقد ضمت كل من:روستان و ديكيري،ماردان وكامبون،ينظر:محمد قدور ،المرجع السابق ،ص 42.

في إتجاه السكان باللغة الفرنسية" وإرتأت اللجنة كخطوة أولى لبلوغ هذه الغاية في ظل موجات الهجرات الإستيطانية الأوروبية نحو تونس وتنظيم مؤسسات التعليم الإبتدائي بأن يشرف عليها علميا معلمون فرنسيون علمانيون بهدف تهيئة أرضية لنجاح المهمة الفرنسية بالمنطقة خاصة في مواجهة إيطاليا[1].

د- مشروع لوي ماشويل[2](Louis Machuel) 1883م .

في سنة 1883م أسس الفرنسيون إدارة العلوم والمعارف ووضعوا برنامجا لإنشاء مدارس إبتدائية فرنسية للأوروبيين والعرب على غرار المدارس الموجودة في فرنسا نفسها، وكانت نظرية مدير العلوم والمعارف- وهو موظف فرنسي- أن ينشئ شبكة من المدارس في كل المدن يؤمها الأطفال سواء كانوا تونسيين أو من الجاليات الأجنبية الأخرى لينشئوا نشأة فرنسية صرفة[3] .

وقد تولى لوي ماشويل إدارة كل المسائل المتعلقة بالتعليم في تونس بموجب مرسوم أصدرته حكومة الحماية بتاريخ 6 ماي 1883م إذ أقدم على تأسيس المدرسة الفرنسية العربية الموجهة خصيصا للمسلمين وبدرجة أقل لأبناء المستوطنين حيث كان التعليم يتم باللغتين الفرنسية والعربية مع ميلان الكفة لصالح الأولى.

ولم تتوقف جهود ماشويل عن هذا الحد بل تعدته إلى التعليم الثانوي، ولعل في موقفه من الصادقية ما يثبت ذلك أنها ستوفر على فرنسا الجهد والوقت والمال، وضمن تلك الجهود تم تأسيس مدرسة ترشيح المعلمين في عام 1884م ومثلها تلك المتعلقة بالمدرسات بعد عقد من الزمن[4].

---

[1]- بوفلجة حماوي: المرجع السابق،ص 47.

[2]- لوي ماشويل:ولد بالجزائر العاصمة سنة 1848م وكان على علاقة متينة منذ طفولته بأوساط المسلمين الجزائريين فقد درس بالكتاب إلى جانب دراسته بالمدرسة الإبتدائية الفرنسية ،وتربى منذ نعومة أظافره في الوسط الإسلامي فحفظ بعضا من القراءن ودرس النحو العربي ،لعل ذلك جعله يتجه إلى الإهتمام باللغة العربية إذ بعد درسته بليسي الجزائر(Lycée d'Alger) وحصوله على البكالوريا في الأدب،تحصل على الكفاءة في تدريس اللغة العربية وأصبح أستاذا في المعهد العربي بقسنطينة ،قبل أن يتحول ليدرس بليسي الجزائر ،كما عمل متفقدا بمدرسة تلمسان التي كانت تعد الطلبة المسلمين للوظائف الدينية، ينظر: محمد ضيف الله: **الحركة الطالبية التونسية(1927-1937م)**،ط1 ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي،تونس،1999م،ص 29.

[3]- الحبيب ثامر:**هذه تونس**،ب ط، مكتب المغرب العربي (تاريخ المغرب)،مطبعة الرسالة،القاهرة ،1948م، ص 56.

[4]- بوفلجة حماوي:المرجع السابق ،ص 49.

✓**ماشويل و إصلاح التعليم الزيتوني .**

قبل فرض الحماية في سنة 1880م قام لوي ماشويل مستغرب و منتقد للتعليم العربي ومن خلال مرسوم الباي المؤرخ في 06 مارس 1883م و قدم لوي ماشويل صلاحيات على أنه مكلف بإدارة الشؤون التي تهم التعليم و كذا التعليم الإسلامي و جامع الزيتونة [1].

ولقد حاول لوي ماشويل* تسخير كل شيء من أجل جلب التونسيين إلى الإنخراط في هذه الإصلاحات التي يسعى تطبيقها بهدف التقليل من معارضة الشباب التونسي لهذا النمط من التعليم من جهة و إضعاف الشعور المناوئ للإستعمار من جهة أخرى [2] .

✓ **إصلاح 1883م .**

عندما تولى لوي ماشويل إدارة التعليم العمومي في تونس حاول بسط سلطته على جامع الزيتونة و لدمجه في أجهزة التعليم الرسمي ولإنجاح هذه السياسة أصبح يتقرب من بعض المشايخ الزيتونيين مثل: محمد العزيز بوعتور الذي قدم له توجيهات تخص التعليم الإسلامي و تركز أكثر فأكثر بعد تعيين روني ميلي سنة 1894 مقيم عاما لفرنسا بتونس والذي ترك إصلاحات جذرية على التعليم التقليدي الزيتوني و كذلك المساهمة في تأسيس الجمعية الخلدونية في ديسمبر 1896م[3]

إجتمعت لجنة الإصلاح و هي مجموعة من اللجان لإصلاح الزيتونة وصلت خمسة منها الأولى:لجنة الإصلاح الأولى التي عقدت سنة 1897م ناقشت مجموعة من النقاط التي أوردها الباحث التونسي عبد الباسط الغابري وهي:

– ضرورة تخصيص الجامع الأعظم لتعليم فقط .

---

[1] –خير الدين شترة :**الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة 1900 – 1956** ،الروابط الحضرية بين القطرين واثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري،ج1 ،دار البصائر ،الجزائر ،2009 ،ص 752 .

* جامع الزيتونة: يعتبر جامع الزيتونة من أقدم الجوامع التي بنيت في الشمال الإفريقي،ينظر: ابن خلدون ،**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،دار الكتاب اللبناني ، 1983م ،ص 404 ،وأول من ابتدأ بناء هذا الصرح هو الأمير حسان بن النعمان الغساني الداخل لإفريقيا سنة 79هـ ثم جاء الأمير عبد الله بن الحبحاب الداخل لإفريقيا سنة 114هـ/733م وأتم بناءه سنة 141هـ/758م ،محمد الأخضر حسن: **تونس وجامع الزيتونة** ،تر وتح:علي الرضا ،ط1 ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1971 ،ص 39 .

[2] – مختار العياشي :**الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر 1958–1983** ،مركز النشر الجامعي للجامعة التونسية، تونس، ص 29.

* ينظر: الملحق رقم: 07.

[3] – نفسه: ص ص 35 – 37 .

– النظر في المواد الواجب أن تشتمل عليها برامج كل مرتبة تعليمية .
– البحث في المواد الواجب إدراجها مع حتمية التعليم الديني في الجامع و خارجه.
– إمكانية إخضاع الطلبة للامتحان الكتابي .
– مطالبة كل مدرس بتدريس علم أو إثنين على الأكثر .
– التأمل في كل الوسائل العائدة بالنفع على تدريس التعليم العربي وعلى حال التعليم عامة .

لكن لم يتم تفعيل خلاصات هاته اللجنة بسبب الصراع بين التجديد والتقليد وسوء النوايا بين أول مدير للتعليم العمومي لوي ماشويل وعلماء الزيتونة، فالأول كان يسعى إلى لبسط نفوذه التام على التعليم العمومي التونسي وتحقيق ذلك لن يتم دون الحد من سلطة الشيوخ النافذين، بينما العلماء كانوا يسعون للحفاظ على وصايتهم على الجانب الديني وإمتيازاتهم . لكن التطوير الذي حدث على مستوى المواد المدرسية في التعليم الزيتوني ظل محتشما لكونه جعل المواد العصرية إختيارية، الأمر الذي أدى إلى إهمالها بالجامع الأعظم وخلي منها التعليم الزيتونة فيما بعد ليبقى الطابع الديني هو الغالب[1] .

✓ **إضراب طلبة جامع الزيتونة سنة 1910م .**

أصبح التعليم بجامع الزيتونة ضعيفا متهرئا، فالنظارة العلمية عاجزة مطلقا عن إداراته بحكمة وتبصر وعن تحقيق ما يصبو إليه الشيوخ والطلاب وأرجعت أمر الإشراف على جامع الزيتونة إلى الوزير الأكبر وهو الكاتب العام للحكومة(روا Roy) الذي لم يكن يريد إصلاحا لهذه المؤسسة بل كان يهدف إلى تهميشها لأن وجودها يتعارض مع الأهداف الاستعمارية فضلا عن تطويرها وجعلها مواكبة للعصر[2].

ومن أسباب حركة الإصلاح للطلبة كذلك الشعور بوجوب الإصلاح ومعاملة النظار للأبناء، حيث يزعمون أنهم يعرفون من وجوههم عند الإمتحان نظرة الغضب أو السخط وحب التعجيز في أسئلة الإمتحانات وزوال إحترام النظارة من نفوسهم حتى أصبحوا ينتقدون أعمالهم ويتعقبون أحكامها[3] .

---

[1] – أحمد سوالم : المرجع السابق ،ص 134 .

[2] – معراج عازب عثمان: **الإصلاحات بجامع الزيتونة وردود أفعال الطلبة منها 1842– 1938م**،مذكر مكملة لنيل شهادة الماستر،تاريخ المغرب العربي المعاصر ، إشراف: موسى بن موسى ،كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية،قسم العلوم الإنسانية،جامعة الشهيد حمه لخضر،الوادي ،2019/2018 ،ص 77 .

[3] – محمد الطاهر إبن عاشور: المصدر السابق ،ص 220 .

ونظرا لعدم تطبيق القوانين المنصفة للطلاب أو التحيز شعر الطلاب بالتعسف والقهر فقرروا الإضراب في افريل 1912م[1] .

لقد بدأت هذه الأحداث بتكوين لجنة طلابية التي طالبت بإصلاح التعليم الزيتوني،فعقد طلبة الزيتونة إجتماعا عاما بفناء الجامع الأعظم بتاريخ 10 مارس[2].

وتدخل العديد منهم في هذا الإجتماع وقد برز منهم إبراهيم بن شعبان،وأفضى الإجتماع إلى تقديم عريضة إلى الحكومة[3]،نصت حول تحسين ظروف الدراسة والإقامة والإعتناء بمدارس السكن بترميمها وصيانتها والإعفاء من ضريبة المجبى،فإنتهى الأمر بإضراب 18 أفريل 1910م[4].

أعلن الطلبة ولأول مرة في تاريخ المؤسسة الإضراب عن الدروس متظاهرين في الشوارع بممر الباي،مما أدى بالسلطات الإستعمارية إلى قمع هذه المظاهرات ونتج عنها القبض على 17 طالبا منهم 8 طلبة تم سجنهم و5 طلبة تم إرسالهم في إقامة جبرية إلى المناطق العسكرية بالجنوب و4 طلبة تم طردهم من الجامع الأعظم[5] .

- ✓ **إصلاحات 1912م .**

بعد الإضرابات التي شنها الطلبة الزيتونيون في أفريل 1910م[6] إضطرت الحكومة إلى تأليف لجنة حكومة الباي وعرفت بلجنة الإصلاح سنة 1912م قصد النظر والتمحيص في مطالب الطلبة التي تنوعت في مجال التدريس، إضافة إلى إدراج مواد حديثة كالتاريخ والجغرافيا ومراقبة كل من الدروس والطلبة والمدرسيين وجاءت اللجنة مؤلفة من: الطيب الجلولي، الشيخ أحمد بيرم، الشيخ بن محمود، الشيخ محمد القصاب، مسيو فلوري، والشيخ محمد النيفر، الشيخ محمد الطاهر إبن عاشور، الشيخ محمد بن الخوجة، السيد خير الله مصطفى[7].

---

[1] – معراج عازب عثمان : المرجع السابق ، ص 78 .

[2] – عبد الباسط الغابري: **المؤسسة الزيتونية والإصلاح**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ،2015م ،ص 16 .

[3] – معراج عازب عثمان : المرجع السابق ، ص

[4] – عبد الباسط الغابري: المرجع السابق ، ص 16 .

[5] – معراج عازب عثمان : المرجع السابق ، ص 79 .

[6] – مختار العياشي : المرجع السابق ، ص72 .

[7] – الساحلي حمادي :**فصول في التاريخ والحضارة** ،ط 1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 1992 م ،ص 138 .

ولقد كان أغلب أعضاء هذه اللجنة تابعين للجنة الإصلاح السابقة التي تكونت سنة 1897م،وإشتهرت بمعارضتها لمشروع ماشويل بالإجماع بإستثناء خير الله بن مصطفى التي عينته الحكومة .

ولا تضم اللجنة سوى عضوين يمكن إعتبارهما من أنصار التجديد والإصلاح وهما القاضي محمد القصاب والنائب عن الدولة لدى النظارة العلمية محمد الطاهر إبن عاشور[1].

وأمام إتساع نطاق حركة الطلبة وعدت السلطة بتلبية رغباتهم وشرعت اللجنة بإصلاح التعليم في أشغالها في الحين، ولم تنهي اللجنة أشغالها إلا خلال صائفة 1912م بسبب أحداث الزلاج سنة 1911م ،ومقاطعة الترامواي سنة 1912م [2] .

✓ **نتائج اجتماع لجنة الإصلاح .**

عندما إجتمعت اللجنة في سنة 1912م وكلفت أحد أعضائها الشيخ محمد الطاهر إبن عاشور بتقديم تقرير وعرضه على اللجنة التي كانت رافضة له وأبقت على جل الإجراءات المتضمنة في الترتيب المؤرخ في 16 سبتمبر 1912م والتي تمنح مرحلة الدراسة بجامع الأعظم إلى سنتين وكذلك هو الشأن في سائر معاهد الثانوية للحصول على شهادة التطويع وتكليف النظارة العلمية بمراقبة الدروس والمناهج الدراسية .

وعند إنتهاء إجتماع هذه اللجنة أعفي محمد الطاهر إبن عاشور من مهامه كنائب لدى النظارة بإعتبار خروج أفكاره عن أهل السنة والجماعة، ونتيجة لقرارات هذه اللجنة تواصلت الحركات الإحتجاجية بالجامع الأعظم من سنة 1910م إلى غاية سنة 1912م وإضطرت السلطات إلى تلبية بعض مطالب فكلف المقيم غابريال ألابتيت الكاتب العام للحكومة التونسية بلان بالنظر في إعادة التعليم بالجامع والتعاون مع وزير القلم الجديد " مصطفى دنقزلي" أعد هذا الثنائي مشروعا بين سنتي 1913 و1914م وهو مشروع مستمد في أغلب محاوره من مشروع لوي ماشويل. غير إن ظروف الحرب العالمية الأولى لم تسمح بتطبيقه وتمت إستعادته سنة 1924م في عهد المقيم لوسيان سان[3] ولقد كان مشروع إصلاح سنة

---

[1] – خير الدين شترة : المرجع السابق ، ص 740 .

[2] – عادل بن يوسف :**النخبة العصرية التونسية (طلبة الجامعات الفرنسية)** ،دار الميزان ، تونس ،2006م ،ص33.

[3]– معراج عازب عثمان : المرجع السابق ،ص 87 .

* سان لوسيان: ولد عام1867 عين مقيم عام في تونس في غرة جانفي1921م، وبعد ذلك إنتقل إلى المغرب وبدأ مشواره كمحافظ لغارون العليا، أنتخب سيناتور سنة 1932م ، توفي عام 1938 م ،عبد الرحمان جرادي : المرجع السابق ، ص 24 .

1912م لم تكن فيه مقترحات خاصة بالتعليم العالي وهذا ما جعل إصلاح التعليم بالجامع الأعظم يشهد تأخرا[1] .

✓ **إصلاح 1926م .**

أمام تنامي عدد الطلبة وإصرارهم على ضرورة إصلاح النظام التعليم أذن بإحداث لجنة للنظر في مشروع إصلاح سنة 1913م الذي عرف بمشروع الدنقزلي(1865 – 1926م) نسبة إلى الوزير الأول الذي أشرف عليه بنفسه، لكن هذه اللجنة لم تتم عملها بسبب إندلاع الحرب العالمية الأولى .

لم يرى هذا المشروع النور إلا سنة 1924م حيث تشكلت لجنة جديدة تحت إصرار الطلبة الذين لاحظوا تلكأ الفرنسيين بعملية الإصلاح في مجمله كان هذا المشروع إحياء لمشروع ماشويل الذي قدم سنة 1898م، ورغم أن الوزير قد أنهى مسودة المشروع الإصلاح إلا أن الفرنسيين رأوا فيه خطرا على وجودهم فقبر هذا المشروع مع وفاة مصطفى الدنقزلي نفسه سنة 1926م، ووضع المستعمر الطلبة أمام خيارين:

إما القبول بالتعليم الفرنسي والثقافة الفرنسية؛ وهذا يعني التخلي عن لغتهم العربية وثقافتهم الوطنية ، أو أن يختاروا الثقافة الإسلامية بتعليمها العقيم ، ليأتي المرسوم الذي سن في ماي 1929م إذ بعدما كان طلبة الزيتونة المتحصلين على شهادة التطويع بإمكانهم العمل مباشرة كعدول ومنفذين، أصبح لزوما عليهم بعد تلقيهم هذه الشهادة إجراء إمتحان باللغة الفرنسية أولا وبالتالي لم يعد لهم مكان في تقلد الوظائف العمومية .

أدرك الطلبة أن فرنسا ليست جادة في إحداث أية إصلاحات في سياسة التعليم الزيتوني بل وعازمة أيضا على تهميش الجامعة الزيتونية حتى لا يعود لها أية أهمية تذكر[2] .

هـ- مشروع سيباستيان شارليتي 1908- 1918م .

كان هذا المشروع في محتواه إستمرار لنهج لوي ماشويل وتكريسا لرغبة المستوطنين رغم ما أبده الرجل من مرونة في التعامل مع المجتمع التونسي كونه كان على إطلاع ومعرفة بالقطاع ومتطلباته، وقد حاول شارليتي من خلال مشروعه نقل التلميذ التونسي من مجرد

---

[1] – عادل بن يوسف :المرجع السابق ،ص 35 .

[2]– كريمة البوزيدي : **الحركات الإصلاحية في المدارس القرآنية في أواخر القرن 18 وبداية 19: جامع الزيتونة التونسي نموذجا الجزء الثاني : الإصلاح من الداخل دوافعه والنتائج المترتبة عنها** ، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، الحوار المتمدن ، m.ahewar.or g، تم نشره 03/29/ 2013م ، شوهد 27 /03/ 2022م ، 14:22 .

مستمع إلى فاعل فإلى جانب التعليم الابتدائي المتعارف عليه كان هناك تعليما أخر ذا صبغة تطبيقية له علاقة بالتجارة والصناعة والزراعة من إهتم بمسألتي تعليم الفتاة وتعلم اللغة العربية قبل الفرنسية .

فقد عمل هذا المشروع على توفير اليد العاملة المؤهلة والرخيصة من التونسيين للكثير من المشاريع والشركات الفرنسية وإستجابة لمطلب المستوطنين الفرنسيين بعدم منح التونسيين تعليما جيدا يمكنهم من تبوء مكانة مرموقة في الإدارة والتسيير والعلوم المختلفة[1].

2)- الهيئات المشرفة على التعليم الفرنسي في تونس .

سيطرت فرنسا على التعليم التونسي فأخضعته للنظم الفرنسية حتى أصبح الطالب يتقن الفرنسية أسرارها ويتذوق آدابها ولغته فهي أمور بعيدة عنه[2]؛ من أجل طمس الثقافة التونسية وإخراج طبقة من الشعب التونسي الجاهل للغة العربية وتراثها[3]ولتحقيق أهدافها قامت بتأسيس هيئات مسؤولة على التعليم الفرنسي من بينها:

أ- إدارة العلوم والمعارف .

أحدثت من طرف المقيم كامبون[4]Cambon حيث تولاها المستعمر لوي ماشويل حيث أسس مدرسة عربية ووضع برنامج للمعهد الصادقي يتماشى مع المناهج التربوية الفرنسية وألغى تعليم اللغتين الطالينية والتركية تاركا المجال لسيطرة اللغة الفرنسية[5].

هذه الإدارة التي تم تنظيمها بالأمر العالي المؤرخ في 6 افريل 1884م وأوكلت إليها في الحين مهمة تربية أبناء المزارعين الفرنسيين الذين قدموا للإستقرار بالبلاد التونسية، ولكن

---

[1]- عادل بن يوسف :المرجع السابق، ص ص 49 – 50 .

[2]- الطاهر عبد الله :**الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة** ،ط2 ،دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس ،1990م ،ص 30.

[3] – جميل بيضون وآخرون :**تاريخ العرب الحديث** ،ط 1 ،دار الأمل للنشر والتوزيع ،د ب ، 1991م ،ص 112 .

[4] – بول كامبون : في 18 فبراير 1882م تم تنصيبه مقيما عاما لفرنسا بتونس خلفا لروستان ، كان من أهم أعماله التي شهدها عهده : توقيع معاهدة المرسى في 1883م ، إعادة تنظيم المجلس البلدي لمدينة تونس ، إدخال القضاء الفرنسي لتونس ، أعفي من منصبه في 23 نوفمبر 1886م ، ينظر: سمير أمين : **المغرب العربي الحديث** ، ت: كميل داغر، دار الحداثة ، بيروت ، 1980 ، ص 136 .

[5]- محمد بن خوجة: المصدر السابق ، ص 319.

الهدف التي ترمي إليه كان يكتسي صبغة أشمل فهو يتمثل في نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين في الأواسط الإسلامية والمالطية والإيطالية بالايالة[1].

وكذلك من بين برامجها إنشاء مدارس إبتدائية فرنسية للأوروبيين والعرب بحيث أن اللغة العربية لم تدرس داخل هذه الإدارة وذلك من أجل تدريس الأطفال اللغة الفرنسية فقط لينشئوا نشأة فرنسية[2] ولقد ألحقت بإدارة العلوم والمعارف العديد من الأجهزة ولكل جهاز دوره الخاص به وقد تمثلت في :

ب- اللجان المدرسية: جاء إنشاء اللجان المدرسية عبر أقاليم تونس وتشكلت من القنصل الفرنسي والمساعد الأوروبي الأول له ووظيفة هذه اللجان تحت إشراف مدير المعارف وتمثلت مهام هاته اللجان في :

- فرض رقابة للمدارس والعناية بها .
- مهمة العمل على استقبال شكاوي أولياء التلاميذ .
- تزويد المدير بتقرير سنوي[3] .

ج- مجلس التعليم العمومي:

جاءت تشكيلة مجلس التعليم العام بموجب مرسوم 2 ديسمبر 1903م، تضمن في مادته التاسعة المطالبة بتشكيل مجلس للتعليم الخاص في المدارس القرآنية الحديثة .

ونظرا للمادة الخامسة عشر أسندت له العديد من الوظائف تركز النظر في :

- الإصلاحات الواجب إدخالها في التعليم وإدارة المدارس الرسمية .
- ميزانية المدارس العمومية ومناقشتها .
- الفصل في مسائل الإنضباط المتعلقة بأعضاء هيئة التدريس .

وكما أسندت إليه مهام إستشارية في قضايا تعني بتوزيع مجمل الإعتمادات المصادق عليها من المجلس الأكبر.

---

[1]- أحمد القصاب :**تاريخ تونس المعاصر 1881- 1956** ،ط1 ،تح: حمادي الساحلي ،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس،1986م ،ص 294.

[2] - الحبيب ثامر: المصدر السابق ،ص 56.

[3]- محمد قدور :المرجع السابق ،ص ص 94 – 95 .

فمجلس التعليم العمومي يعتبر الساعد الأيمن لمدير التعليم العمومي فهو الرابط بين الأوروبيين والتونسيين في نفس الوقت يخدم الطرف الأول[1].

د- الرقابة المدرسية :

جاءت الرقابة المدرسية ضمن المرسوم 09/15/ 1888م الذي يقوم بمراقبة المؤسسات التعليمية من طرف المدير العام للمعارف وإعادة النظر في محتوى التعليم وفيما كانت اللغة الفرنسية تدرس ويتوجب على رئيس كل مؤسسة رفض العمل بهذه التوجيهات التوجه لمراقبة السلطات العمومية وقد يؤدي إلى غلق مؤسسته إذا تعنت ذلك[2].

هـ- مجلس الإدارة :

تولى إدارتها لوي ماشويل مدير المعارف إذ تضمن مرسوم 14و15 جوان 1886م وجوب إنفراد ماشويل بتعيين مختلف أصناف الموظفين. أما المادة الثانية فقد جاء فيها إن مسألة اقتراح أساتذة الثانوي تتم من طرف المدير،في حين أن المدراء والقائمين على المؤسسات التعليمية لم يكن من الممكن إعتقادهم إلا بعد إقتراح من طرف المدير.

تضمن العديد من المواد حيث تضمنت المادة الرابعة و العشرون إلى إلزام مدير المدرسة مع مستهل الشهر العاشر من كل سنة لمراسلة مفتشية المدارس القرآنية من خلال التقرير المتضمن برنامج الدروس،قائمة الكتب المستخدمة التوقيت الأسبوعي لكل فصل وأخيرا قائمة المدرسين و المتمدرسين متضمنة عناوينهم .

وبهذه الطريقة أصبح التعليم تحت أعين و رهن أذان الإدارة الفرنسية [3].

كانت تونس موطن ثقافة وحضارة لامعتين وكان الزائريون يجيئونها من أطراف العالم الإسلامي وفي ظل نظام الحماية وبعد مجيء معاهدة المرسى لسنة 1883م حطمت فرنسا هذه النهضة العظيمة ووجهت تنظيما شاملا خاص بالتعليم الذي كان يشمل على منظومة تعليمية غلب عليها التعليم الحر، والذي يعتبر من الأعمال الخيرية الحسنة ذات رؤوس أموال الخواص، وعندما وطدت فرنسا أركانها ظهر التعليم الرسمي الذي أقيمت عليه رقابة مديرية العلوم والمعارف ونظرا لرؤية الفرنسية من أجل خلق طبقة واسعة من الشباب التونسي بغرض سد فراغ اليد العاملة في القطاعيين الزراعي والصناعي ظهر التعليم المهني

---

[1]- محمد قدور: ص ص 95 – 96 .

[2]- نفسه: ص 97.

[3]- محمد قدور : المرجع السابق ، ص 101 .

للحد من المنافسة التونسية لأبناء المعمرين، وفي هذا الإتجاه جاء تعليم البنات نتيجة لما يمثله الأمر من أهمية داخل الأسر التونسية.

مما لا شك فيه أن السلطة الفرنسية لم تخرج عن تطبيق مراحل التعليم السارية والمعمول بها في مراحل التعليم المعروفة وهي التعليم الإبتدائي والثانوي والتعليم العالي.

ومن هنا يمكن أن نبين أنماط التعليم الفرنسي.

ثانيا: أنماط ومراحل التعليم.

1)- أنماط التعليم:

أ- التعليم الحر.

منذ 1881م أصيب التعليم الوطني بإضطهاد حكومي لا يرحم،فقد عمدت الحكومة على ضرب المؤسسات بدل المساعدة على تطويرها[1].

ومنذ فرض الحماية الفرنسية إعتمدت على فرض الرقابة على التعليم بشكل عام والمدارس الحرة بشكل خاص لم تسمح بفتح مدارس الحرة إلا بنسب ضئيلة وهي تضع العراقيل المختلفة في وجه من يطلب فتح مدرسة حرة؛ ويبقى طلبه في دواوين الإدارة سنوات دون أن يحظى بالقبول حتى أنه في سنة 1929م، أي بعد صف قرن من فرض الحماية لم يتعدى عدد المدارس الحرة 13 مدرسة وكان عدد التلاميذ فيها 64[2].

ب- التعليم الرسمي .

بعدما أصبحت اللغة الفرنسية لغة رسمية تدرس في المدارس ولغة ضرورية في المجال الإداري والوظيفي وأداة ترقية بالنسبة للتونسيين الراغبين في العمل أو الحصول على الوظيفة العمومية.

فهي التي تمكنهم من المشاركة في المناظرة لدخول دار المعلمين[3]،أو السعي إلى وظيفة في الإدارة التونسية حتى أصبحت اللغة الفرنسية تحتل أكثر فأكثر مكانة مرموقة نظرا لتضخم النصوص المحررة بالفرنسية وبالتالي تم إحداث سلك المترجمين.

ونظرا ما تمر به الحالة الإقتصادية 1820-1881م وما ترتب عنها من آثار السياسة الإستعمارية أصبح الإرتقاء في سلك التعليم من وسائل الترقية وقامت بعض العائلات

---

[1] - عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق، ص 58.

[2] - الحبيب ثامر : المصدر السابق، ص 58.

[3] - أحمد القصاب :المرجع السابق ،ص 296 .

بإرسال أبنائها إلى التعليم الفرنسي أضف إلى ذلك إن حذق اللغة الفرنسية قد مكن النخبة الصاعدة من المثقفين التونسيين إلى إدراك الحضارة الغربية وبالأخص الحضارة الفرنسية[1]. فبثت العديد من المدارس العربية الفرنسية في المراكز الرئيسية من البلاد التونسية وفتح مدارس فرنسية حيثما يتواجد الأوروبيين[2].

وبلغ عدد المدارس سنة 1884م أربعة وعشرين مدرسة تعتمد اللغة الفرنسية في التدريس بهذه المدارس[3].

فبسطت الرقابة من قبل مديرية المعارف لهذا النوع من التعليم الرسمي أو المدارس الرسمية التي ليس لها الحق الخوض في أي شأن خارج إطار مهامها الموكلة بها، وهاته الرقابة أو الإشراف على المؤسسات التعليمية على مختلف مستوياتها من طرف مديرها لوي ماشويل وهو الذي أعطى الطابع الرسمي للتعليم من أجل توجيهها لخدمة المصالح الفرنسية وأطماعها، وتشير إحصائيات 1921م أن تونس تتمتع ب 171 مؤسسة تعليمية فرنسية منها 342 مؤسسة رسمية و26 منها حرة[4].

ومن بين بعض المدارس التعليم الرسمي نذكر مثلا:

- المعهد الثانوي للبنات المسلمات بالعاصمة .
- إبتدائية البنات المسلمات.
- مدرسة ترشيح المدرسات(دار المعلمات) سنة 1911م .
- ثانوية أرمون فاليار 1915م للفتيات [5].

ج- التعليم المهني .

نظرا لإقبال التونسيين على التعليم العصري(الرسمي) مكن النخبة المثقفة من فهم الحضارة الغربية وعلى وجه خاص الفرنسية وهذا الوضع الذي إرتقى إليه بعض التونسيين المحظوظين لم يرق له المعمرون ولم يستطيعوا تحمله فشنوا سنة 1889م حملة شديدة للمطالبة بتخفيض وحتى إلغاء تعليم الفرنسية للأهالي لأن هذا التعليم الجديد(العصري) أثار

---

[1] – أحمد القصاب: المرجع السابق، ص ص 298- 296.

[2] – علي المحجوبي : المصدر السابق ،ص 143 .

[3] – محمد قدور: المرجع السابق،ص 164 .

[4] – أحمد القصاب :المرجع السابق ،308 .

[5] – خير الدين شترة : المرجع السابق ،ص 641.

في نفوس التونسيون أفكار الحرية والمساواة وهكذا وصل تأثير حملة المعمرين إلى دوائر إتخاذ القرار فدعا وزير الخارجية الفرنسية المقيم العام إلى الحد من تعليم الأهالي[1].

هذا القرار الذي جاء مؤكدا على الأخطار المنجرة على المسلمين من تعليم اللغة الفرنسية التي ستجعل منه أناس" منحطين" عن مقامهم وبناءا على ذلك فقد إنحدر عدد التلامذة المسلمين المرسمين بالمدارس المزدوجة اللغة من 4656 سنة 1897م إلى 3820 تلميذ في سنة 1899م مقابل 3157 فرنسيا و 3747 إسرائيليا و3526 ايطاليا[2]،وتم غلق حوالي عشر معاهد مدرسية بالمراكز التي يقطنها السكان المسلمون مع تشجيع الأهالي على الإقتصار على التعليم التقليدي الذي يتلقونه باللغة العربية وحدها.

وإبتدءا من سنة 1903م إتجهت النية إلى تخصيص الأطفال التونسيين بنوع من التعليم يكتسي صبغة عملية ويرمي بالخصوص إلى تكوين اليد العاملة البارعة، هذه السياسة التي أثارت إحتجاجات الإصلاحيين التونسيين الذين نددوا بها في جريدتهم الناطقة باللغة الفرنسية "جريدة التونسي" ولكن المسؤولين الفرنسيين لم يأبهوا بإحتجاجات الإصلاحيين التونسيين فأقدموا منذ سنة 1908م على إحداث مصلحة للتعليم المهني بإدارة التعليم العمومي، كما أحدثوا بعض المدارس(التدريب الزراعي والصناعي) بتونس وسوسة وصفاقس وقابس[3].

قد ظهرت المدارس الأولى التي من هذا النوع في سنة 1908م ويشتمل برنامجها على ما يسمى بالتعليم العام الذي يختص على بضع ساعات في الأسبوع مخصصة للأخلاق والقراءة والمحفوظات؛ وكذلك يشمل حصص مخصصة للأشغال المنزلية وتربية الأطفال والتطريز والخياطة على أن تلك المدارس قد ساعدت على ظهور فكرة تحرير المرأة وهذا ما سيتم تناوله في النقطة التالية [4].

---

[1] – أحمد القصاب :المرجع السابق ، ص 299 .

[2] – نفسه :ص 300 .

[3] – أحمد القصاب :المرجع السابق ص 299 – 300 – 201 .

[4] – نفسه :ص 301 .

د- تعليم البنات.

لقد ظلت المرأة التونسية حتى السنوات الأخيرة في منجى عن محاولات حكومة المقيم العام نظرا لما تعول عليه من أمل في تعليمها كي تصل إلى قلب المجتمع التونسي، أنها ترى من أقوالها إن تلك الوسيلة هي أفضل طرق التذويب وتؤكد أنه" يستحيل تذويب الرجال علينا مادامت نساؤهم خارج نطاق تأثيرنا فهن يحللن سريعا ما ربطنه في المدرسة صابرين"[1].

كانت المرأة التونسية قبل الحماية ذات خبرة بالصناعات اليدوية مثل الخياطة والفصالة والتطريز والغزل والنسج والتشييك....إلخ تعرف بدار المعلمة يؤمها البنات من سائر الطبقات على النحو المعروف في مدارس اليوم[2].

وفي سنة1915م أنشا معهد أرمون فاليار للفتيات بالإضافة إلى مدارس إبتدائية عليا للبنين والبنات بتونس وسوسة وصفاقس، ولقد تباينت الآراء حول مسألة تعليم الفتاة التونسية في ظل المطالبة بتحسين ظروف العمل وفتح أفاقه أمام التونسيين الذي أصبح أمرا مفروغا منه ومتفق عليه، فإن فكرة تعليم الفتاة لقيت خلاف بين المفكرين والمصلحين فعزوف الفتاة عن التعليم في المراحل الأولى في المدارس يرجع في غالب الأحيان إلى الأولياء الذين إعتقدوا أن تعليم الفتاة في المدارس من شأنه أن يفسد الروح الدينية والأخلاقية لدى البنت المسلمة[3].

كما إعتبر الشيخ عبد العزيز الثعالبي[4] تعليم المرأة بات مطلب الرأي العام التونسي فإن كان ولابد يجب أن يكون في إطار عربي مع بعض الدروس الفرنسية ،مادامت هذه الأخيرة ضريبة ضرورية لوجود التعليم[1].

---

[1] – عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ،ص 66 .

[2] – حسن حسني عبد الوهاب:**شهيرات التونسيات**، بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر ،المطبعة التونسية ،1353 ،ص 105 .

[3] – أحمد القصاب :المرجع السابق،ص302 .

[4] – عبد العزيز الثعالبي: هو عبد العزيز الثعالبي إبن إبراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي من أصل جزائري ولد بتونس، أصدر جريدة التونسي وانتسب إلى حزب تونس الفتاة، سجنه الفرنسيون ثم أطلق سراحه، فسافر إلى باريس واسطنبول والهند، وبعدها رجع إلى تونس ليباشر في الأعمال السياسية، حيث قام بتقديم مذكرة في مؤتمر الصلح سنة 1919م، ينظر: محمود شاكر : **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب**،ط02،ج18 ،المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص130.

* ينظر: الملحق رقم: 06.

ومن دعاة تعليم الفتاة المسلمة الشيخ البشير صفر الذي مول مدرسة البنات المسلمات بإعتباره رئيسا لجمعية الأوقاف وكانت إبنته من أوائل المتمدرسات بها،حتى ما إن أشرفت سنة 1930م وصل عدد تلك المدارس إلى أربعة وعشرين مدرسة تؤمها 3806 فتاة.

إقتنع المسئولون الفرنسيون مع عهود الحماية الأولى أن المجتمع المسلم لا يمكنه القبول إلا إذا كسبنا المرأة بإعتبارها حامية القيم كما إعتبروا أن إتمام مشروعهم لن تستكمل حلقاته إلا من خلال المرأة لذا كله تم النظر إلى المبادرة الهادفة تعليم المرأة التونسية على أنها إشكال ذي أهمية تتعدى في خلفيتها الإهتمام الموجه للذكور[2].

2)- مراحل التعليم:

أ- التعليم الإبتدائي: لقد قدمت سلطات الحماية عناية كبيرة على المستوى التعليم الإبتدائي وهذا ما أكده "أردي (Hardy) على أن هذا المستوى من مراحل التعليم يعد أول واجب من الضروري النهوض به كما أنه يعد شرطا لكل تطور، فقد إهتمت به مديرية المعارف نظرا لما يشكله من أهمية في تحقيق التقارب المعنوي بين الأعراق ولهذا كانت الأهمية القصوى لأطفال الأسر المسلمة[3] .

ولقد أكد مدير المعارف على البرنامج المتبع حيث جاء متضمنا المواد التالية: الأدب والأخلاق والقراءة، الكتابة، اللغة الفرنسية والحساب والنظام المتري، عناصر الهندسة والمحاسبة والجغرافيا ،خاصة منها المتعلق بحوض البحر المتوسط والتاريخ المتعلق تحديدا بفرنسا وشمال إفريقيا، تراجم الشخصيات الكبرى عبر التاريخ وعناصر مختلفة ،العلوم التطبيقية ذات الصلة بالمهن والحرف.

ولقد سمحت هذه التعليمية بإمكانية إدراج اللغة العربية وحتى الإيطالية ضمن المواد المدرسية في المؤسسات الرسمية وقد قسم التعليم الإبتدائي إلى أقسام وهي: الحضانة، التمهيدي، المتوسط والعالي[4]،ولقد توسع التعليم الإبتدائي والتي بدأت معالمه بداية 1880م بفعل أفكار جول فيري .

---

[1] – عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ، ص 66 .

[2] – محمد قدور : المرجع السابق ،ص 181 .

[3] – نفسه : ص 202 .

[4]– محمد قدور :المرجع السابق ، ص 203 .

- **رياض الأطفال:** نظرا لما تقدمه رياض الأطفال من أهمية بارزة في تقديم التعليم الديني هذا ما فتح الباب على مصرعيه للحملات التبشيرية،وقد ظهر الإهتمام بهذه المحطة بالضبط لهدفين هما:

– منافسة التعليم الإسلامي بإعتباره عنصر المقاومة لدى المسلمين .

– السعي إلى إقناع أسر الأطفال بالإقبال على التعليم المسجدي لتجسيد الأهداف الحقيقية للسياسة التعليمية الفرنسية .

ولقد أسندت مهمة تدريس الأطفال داخل رياض الأطفال للراهبات على إعتبار أنهن كثر أمومة ولما لهذه المدارس دور تربوي أكثر منه تعليمي، لهذا السبب كرست فرنسا الإهتمام بهذا الجانب منذ دخولها إلى الأيالة فقد كانت تستغل الأطفال سواء بالكلمة الطيبة أو من خلال بداية تقديم لهم مجرد حبة حلوى يشتقونها[1].

لقد عرفت دور الحضانة إزدهارا من خلال تعميم التجربة عبر الإقامة العامة فبعد أن كان عددها سنة 1924م لا يتجاوز ال 12 مؤسسة البعض منها يؤمها الأطفال ووصل الرقم بعد عام 1928 م إلى ما يناهز 3012 طفلا، بمن فيهم 413 مسلما مقابل 109 بنت مسلمة[2].

وكان التلاميذ يتخرجون من المرحلة الإبتدائية، ثم ينتقلون للمرحلة المقبلة بعد الحصول على شهادة التطويع الإبتدائية، بعد إجتياز سلسلتين من الإمتحانات، حددها مرسوم 20 مارس 1887م[3]؛ تحت إمضاء لويس ماشويل مدير التعليم العمومي .

ب– التعليم الثانوي.

أعتبر التعليم الثانوي الفرنسي في تونس مماثلا للتعليم الثانوي الفرنسي والذي بقي لمدة طويلة جدا في معهد كارنو الذي كان مؤهل لإعداد شهادة البكالوريا ولم تطبق اللغة الفرنسية لهذا النوع من التعليم وكانت النسبة الموجهة للتعليم الذكور أكثر من الموجهة للبنات خاصة بداية فترة الحماية، وإنقسم إلى نوعين مدارس مخصصة للتعليم التقني والأخر يجمع باقي الشعب .

---

[1] – محمد قدور: المرجع السابق، ص 205 .

[2] –محمد قدور: المرجع السابق ،ص 206 .

[3] – محمد بوطيبي : التعليم العصري في تونس بين الواقع والطموح خلال النصف الأول من القرن العشرين،**أفكار وآفاق**،مج 7، ع 2 ، جامعة المدية، 2019م ص 189 .

إذا كانت أبواب مدارس التعليم الإبتدائي مفتوحة لأطفال التونسيين، فإن أبواب التعليم الثانوي كادت أن تكون مغلقة في وجه الشباب التونسي، بإستثناء النخبة التي أدركت السلطات الفرنسية أن لها دور في الحياة العامة المستهدفة لتقديم الولاء الخالص والخدمة العمومية التي تحتاج إليها المؤسسات الاستعمارية في بالبلاد [1].

ورغم أن التعليم الثانوي كان ضيق الإنتشار بين التونسيين خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر في المؤسسات الثانوية، إلا أنه تزايد عددهم في الثلاثينيات والأربعينيات .

ج- التعليم العالي .

وهي المرحلة الأخيرة حيث يذكر الشيخ الطاهر إبن عاشور بصفته كان مدرسا بجامع الزيتونة وشيخ جامع الزيتونة بأن الطالب بعد حصوله على شهادة التطويع يشتغل المحصل بالتعليم العالي فيطلب من الطالب إقراء كتب المرحلة الإبتدائية ويتدرج بقراءة كتب المرحلة العالية وعلومها: التفسير، الحديث، أصول الفقه والبلاغة، النحو، اللغة ، الآداب، الكلام .

وليس بالضرورة التعامل مع هذه المراحل بل يكتفي بما تستدعيه منه الواجب التعليمي خاصة في التفسير والحديث[2] .

لم تكن توجد أي مؤسسة في التعليم العالي في تونس، فطلبة كانوا يدرسون في الخارج بعد النجاح في الإمتحان لإلتحاق بكلية الجزائر وليون الفرنسية[3]

ثالثا: المؤسسات التعليمية الفرنسية في تونس .

منذ أن فرضت الحماية على تونس، دخل التعليم بمرحلتيه الإبتدائية والثانوية طورا متعددا ومتنوعا، فالتعليم الإبتدائي بمؤسساته في المدارس الفرنسية والمدارس الفرنسية – العربية للذكور والبنات أو مختلطة وكان لكل منها تعليم متنوع بدوره نفس الأمر بالنسبة للتعليم الثانوي الذي يشتمل على معاهد ذات صبغة ومناهج فرنسية بحتة .

---

[1]- محمد بوطيبي: المرجع السابق ، ص 190 .

[2] -محمد بوطيبي: التعليم في جامعة الزيتونة خلال النصف الأول من القرن العشرين،(دراسة في المناهج والبرامج)،**المجلة المغاربية للمخطوطات** ، ع5 ،جوان 2017، ص 202 .

[3]- محمد بوطيبي :**التعليم العصري في تونس بين الواقع والطموح خلال النصف الأول من القرن العشرين**، المرجع السابق، ص 195 .

1)- المدارس الخاصة بالذكور:

أ- **معهد(ثانوية)كارنو للذكور:** قبيل إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس قام المبشر الكاردينال لافيجري في عام 1880م بفتح معهد ثانوي في مدينة قرطاج؛ وبعد وقوع تونس تحت ظل الحماية الفرنسية 'تم نقله إلى تونس العاصمة عام 1882م وأطلق عليه إسم القديس شال، ويشرف عليه الآباء البيض، ضم المعهد قرابة 100 تلميذا يؤمنونه ما بين(1882-1883م)[1].

وإبتداء من سنة 1886م عين به عشرة أساتذة بين مبرزين ومجازين[2]، وأطلق عليه إسم كلية "سان شارل" في سنة 1891م تقرر نقل بعض تلاميذ الصادقية إليه، بهدف دمج المؤسستين في صلب مؤسسة تسمى" الليسي الصادقي"؛لكن فشل هذه التجربة أدت بالتخلي عن المشروع في أكتوبر 1893م، وتقرر إعادة الصادقيون إلى مدرستهم مما أفرز إنخفاض في عدد التونسيين في ليسي كارنو إلى 16 سنة 1894م[3] وعهد به إلى معلمين ثم إلى أساتذة فرنسيين[4]؛ ظلت الحماية الفرنسية تشجع التعليم الذي نمى وتطور بسرعة في هذه الفترة بحيث بلغ عدد التلاميذ المسلمين التونسيين حوالي 4656 تلميذا، ليصل إلى2927 متمدرس عام 1903م، ونظرا لأهمية هذا المعهد في الحياة الدبلوماسية المستقبلية وبدعم من تيودور روستان[5] الذي أشرف على تعليم أعضاء جمعية المبشرين في الجزائر، أصبح المعهد يدرس اللغتين العربية والإيطالية وكل ما يدرس في المعاهد الأخرى.

غير أن نسبة التونسيين ظلت في الإرتفاع شيئا فشيئا، إذ بلغ عددهم سنة 1924م 316 مقابل 534 يهودي، وهذا بعد أن أفتكته إدارة العلوم والمعارف بزعامة ماشويل من المبشرين وحولته لصورة مطابقة للمعاهد الفرنسية على أرض تونسية لنشر ثقافتها[6].

---

[1] - محمد بوطيبي :المرجع السابق ، ص ص 194-195 .

[2] - خير الدين شترة : المرجع السابق،ص 636 .

[3] - محمد ضيف الله: **الحركة الطالبية (1927 – 1939م)** ، تق: التميمي عبد الجليل ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس ،1999، ص 31 .

[4]- أحمد القصاب :المرجع السابق، ص 304 .

[5]- تيودور روستان: قنصل فرنسا في تونس و أول مقيم عام بها، تمت على يده عقد معاهدة الحماية في 12 ماي 1881م ، ينظر: نور الهدى قسمية: **الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الأولية (1881 – 1883م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، اشراف: مصطفى عبيد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2017 -2018 م، ص 10 .

[6] - أحمد القصاب : المرجع السابق ، ص 637 .

يبين الجدول الأتي: تطور عدد التلاميذ المسجلين بثانوية كارنو من(1889- 1929م)[1].

السنة	1889 م	1908م	1918م	1929م
عدد التلاميذ	263	954	1239	1950

كان برنامج ثانوية كارنو مطابقا لمناهج الثانويات الفرنسية عدا بعض المواد ذات الصلة المباشرة بالبلاد التونسية، مع إجبارية اللغة الفرنسية حتى على الجاليات الأوروبية دون إستثناء والتي أردت أن يكون لها نصيب من معارف الثانوية، وما يحيلنا إلى تفسير إقبال بعض التونسيون من أبناء الأسر والعائلات الكبرى على هذه الثانوية قصد نيل أبنائهم التعليم المناسب في مثل هذا المستوى دون التوجه إلى فرنسا أو إيطاليا بتكاليف باهظة.

هو أن الثانوية فتحت أبوابها أمام الراغبين التونسيين[2]، خاصة وأنها الثانوية الوحيدة التي تؤهل مواصلة التعليم العالي لذلك بلغ عدد تلاميذها سنة 1912م حوالي 1212 تلميذا ليرتفع سنة 1929م إلى 1950 تلميذا .

ومنه بعد مقارنة عدد التلاميذ التونسيين مع باقي المتمدرسين من فرنسيين ويهود ومالطيين يمكننا أن نستنتج سبب تراجع وقلة التلاميذ التونسيين دون غيرهم إلى عاملين هما:

- إهمال الثقافة العربية من قبل مسيري الثانوية .
- الشروط التي تفرضها الإدراة في إلتحاق التلاميذ بها من تحديد السن والنجاح في المسابقات بالإضافة إلى النفقات الباهضة[3] .

ب- المدرسة العلوية: تأسست هذه المدرسة سنة 1884م على يد ماشويل ثم تول رئاستها إسماعيل الصفا يحي[4]،وقد جلب لها ماشويل مجموعة مختلطة من التلاميذ الأوروبيين والمسلمين واليهود[5]،لتخريج المعلمين الذي يتناسب تكوينهم وما تصبو إليه السلطة

---

[1] – محمد ضيف الله : المرجع السابق ،ص

[2] – الحبيب ثامر : المصدر السابق، ص 59 .

[3] – نفسه ،ص 59 .

[4] – إسماعيل الصفايحي(1853 –1918م): ولد بتونس من شيوخ الزيتونة تولى القضاء الحنفي 36 بتونس العاصمة ، ينظر: خير الدين شترة: **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900 –1939** ، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2 ،2013، ص150 .

[5] –ريتشارد ماكن: **لوي ماشويل والإصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الأولى للحماية الفرنسية**، المجلة التاريخية المغربية ،تونس ،عدد 3 ، 1975م ،ص 64 .

الإستعمارية ألا وهو تدريس الفرنسية للأهالي[1]، كانت برامجه كله تدرس باللغة الفرنسية وشبيهة لنمط المناهج المدارس العليا الفرنسية بإستثناء إدخال التاريخ والجغرافيا المتصلة بشمال إفريقيا، و إعطاء التطبيقات حول العلوم الفيزيائية والكيميائية وحفظ الصحة[2].

وجهزت المدرسة بكل ما تحتاجه، وحسب إحصائيات 1922م فقد شملت المدرسة 16 قسما وضمت 397 مدرسا منهم 212 فرنسيا و10 يهود، وكانت الدراسة بها مجانية أما بخصوص سنوات التدريس أصبحت أربعة سنوات عوض ثلاث سنوات ،وتنتهي الدراسة به إما الحصول على الشهادة الإبتدائية أو بمواصلة التعليم في شعبتي التجارة أو الفلاحة.

وفي عام 1908م أقرت إدارة الحماية إعادة تنظيم المدرسة مما أصفر على تخريج 15 مدرسا فرنسيا ومابين 8 و10 مدرسا مسلما تونسيا، وكانت رغبة المشرفين على المدرسة هي تمكين المسلمين والأوروبيين من تعليم فرنسي متين، والتعايش بين الأجناس وتزاوج الأعراف والديانات في كنف الحماية الفرنسية ظاهريا فقط لكن حقيقة الواقع أثبتت عكس ذلك، فطلابها في الغدو والرواح ثلاث صفوف، ويتم ترتيبهم حسب الأولوية فنجد الفرنسيون في أول المقدمة ثم الإيطاليون واليهود ويلهما أخيرا المسلمون التونسيون، فذلك يعني أن هؤلاء الطلبة ليسوا من طينة اجتماعية واحدة، حتى ولو جلسوا على نفس المقاعد[3].

ج- المدرسة العصفورية (التأديبية): يعود أصل تسميتها بالعصفورية إلى مكان تأسيسها في زقاق إبن عصفور المقابل لباب جامع الزيتونة بسوق العطارين، أنشئت سنة 1894م من قبل إدارة العلوم والمعارف و سعت من خلالها إدخال نظام على الكتاتيب، يسمح لتلاميذها بتأهيلهم من الإنتقال إلى مستوى يمكنهم من مواصلة التعليم في جامع الزيتونة والمعدة أساسا لتكوين معلمي المدارس القرآنية[4]، وتمثلت وظيفة المدرسة في تخريج المؤدبين المؤهلين للقيام بهذا النوع من التعليم الإبتدائي ومن بين الشروط التي إشترطتها المدرسة للالتحاق بالمدرسة هي :

- إثبات شهادة حسن السرية والسلوك.
- سن 18 سنة.

---

[1]- علي المحجوبي : المصدر السابق ،ص 144 .

[2] - محمد قدور : المرجع السابق ، ص 110 .

[3]- عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ،ص 63 .

[4] - أحمد القصاب :المرجع السابق ،ص 300.

- الحفاظ الكامل للقرآن الكريم، ويتم ذلك أمام لجنة مؤلفة من غالبية زيتونية إلا أن الإعلان عن القبول لا يتم إلا بإذن من مدير المعارف.

كان معظم التعليم فيها يقتصر على حفظ القرآن والنحو إضافة إلى بعض الفرنسية[1]ورغم إدراج اللغة الفرنسية ضمن البرنامج ، إلا أن الطلبة لم يكن بوسعهم الإستفادة منها إلى الحد المعقول؛ ويرجح سبب ذلك في إسناد تعليمها لأستاذ واحد مكلف بتدريس كل السنوات مع مادة الحساب والجغرافيا الأمر الذي أجبر ماشويل على إنتداب مساعد أخر في تدريس اللغة الفرنسية خلال الموسم الدراسي 1901/ 1902 م،أما بخصوص التعليم الفرنسي بالمدرسة فتم إلى غاية 1901م .

وفي سنة 1908م ألحقت المدرسة التأديبية بالمدرسة العلوية وهمش المؤدبين عنوة من قبل الإدارة الفرنسية، وعندما أيقن المقيم العام الفرنسي الدور الهام للمدرسة تم إغلاق المدرسة في5 أكتوبر 1908م ، لشعوره بدورها الهدام والخطير .

د- مدرسة إيميل لوبي Emile Loubet.

تأسست عام 1898م وجاءت بمدارة الباي علي وبتشجيع من قبل الحكومة الفرنسية، كان تنظيمها أقرب لنظيراتها من المدارس الفرنسية ذاتها، عرفت بالمدرسة المهنية وأسندت مهمة التنظيم والإشراف عليها لمقربين من لوي ماشويل[2]،فتحت مجالها أمام التونسيين لحثهم للوصول إلى مختلف الصناعات المنتشرة في البلاد .

أعيد تنظيم هذه المدرسة سنة 1903م ووجهت للعنصر الذكوري[3]من أجل تكوين العاملين المتعامين المهيئين لأجل أن يصبحوا مراقبي أعمال ورسامين وحتى مكلفين بالمؤسسات وبغرض تلقين المتعلم مهنة محددة المتعامين المهيئين يكمل برنامجها العملي بمتابعة دروس نظرية ضمن إحدى المؤسسات التعليمية .

بلغ عدد مرتديها سنة 1921م حوالي 372 تلميذا إستفادت هذه المدرسة من دعم حكومي قدر ب 53500 فرنك في سنة 1929م،وبإيعاز من مديرية المعارف فسحت المجال أمام شريحة واسعة من الشعب لدخول مسابقة الإلتحاق بالمدارس التقنية العليا[4].

---

[1] – مصطفى فاسي: **البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 38 .

[2]– محمد قدور :المرجع السابق، ص 170.

[3] – عادل بن يوسف :المرجع السابق،ص 2 .

[4]– محمد قدور :المرجع السابق ،ص 171.

2)- المدارس الخاصة بالبنات:

أ- مدرسة البنات المسلمات: فتح أول مكتب للبنات المسلمات بتونس في 7 ماي 1900م قرب حي الحفصية ويعد أول مكتب لتعليم البنات ويرجع الفضل في تأسيسه[1]؛ إلى قرينة المقيم العام الفرنسي " لويز روني ميلي millet" وقد تم إسناد إدارة هذه المدرسة إلى أرملة كاتب الدولة العام في الإقامة العامة السيدة "شارلوت ايجينشناك" وهي فرنسية الأصل. وكانت هذه المؤسسة في بداية الأمر عبارة عن مؤسسة مستقلة ترعاها وتنفق عليها الإقامة العامة، وقد أعدت خصيصا لتعليم الفتاة المسلمة أمور تدبير المنزل، وكذا فن الطرز والخياطة والبيانو لمن أردت ذلك، وتعلم القراءن والعقائد الإسلامية .

بدأت المدرسة نشاطها بإحتشام بخمس تلميذات عند فتحها سنة 1900م وتؤمها بنات العائلات البرجوازية بالعاصمة؛ ليرتفع عددهن إلى 18 تلميذة سنة 1901م،40 تلميذة سنة 1904م ليبلغ سنة 1905م 100 تلميذة وفي سنة 1909م بلغ تعداد المدرسة حوالي 200 تلميذة[2]،تولت جمعية الأوقاف برئاسة البشير صفر مسؤولية الإنفاق على المدرسة سنة 1905م للعزم على تكبير مدرسة البنات وإقامة فروع ومقرات جديدة ملحقة لها بإيجار جمعية الأوقاف يبلغ سنويا 2100 فرنك[3].

وتأسست مدارس عديدة للفتيات المسلمات وبلغ عددها سنة 1930م حوالي أربعة وعشرين مدرسة تؤمها 3806 فتاة، ومما شجع لويز روني ميلي على هذه المبادرة هو إتقانها للغة العربية والتي من خلالها تمكنت من نسج علاقات وطيدة ومنتظمة مع الأسر التونسية الكبيرة والتردد على بيوتهم لحملهم على إرسال بناتهم إلى المدرسة وأحسنت إقناعهم[4] .

وفي هذا الشأن كذلك أدت المعلمات الفرنسيات القائمين على تعليم البنات المسلمات أدوارهن على أكمل وجه وبطريقتهن الخاصة وإستطعن من إستقطاب بعض العائلات، وكانت إحدى بنات البشير صفر من الأوائل اللواتي إنخرطن في مدرسة البنات المسلمات[5].

---

[1]- خير الدين شترة : المرجع السابق ،ص 683 .

[2]- الشيباني بن بلغيث: **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس** ،مكتبة علاء الدين ، 2004 ،ص 188 .

[3]- عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ،ص ص 66- 67 .

[4]- محمد قدور : المرجع السابق ،ص 181 .

[5]- نفسه ،ص 181 .

لقد مثلت هذه المدرسة بالنسبة للبنات أول إنفتاح على آفاق العالم الخارجي وفرصة لإكتشاف الحياة عبر المؤسسة التعليمية ذلك أن الفتاة المسلمة ظلت حبيسة بيتها ولم يكن التعليم متاحا لها .

والجدير بالذكر هنا أن الغاية من بعث هذه المدرسة سياسية أكثر منها تثقيفية فسلط الحماية لم تتوان في إدخار أية جهود في سبيل الوصول إلى المرأة ودفعها إلى عالم التعليم خاصة وهي قلب المجتمع التونسي. فالعمل إذن من وجهة نظر سلطة الحماية هو تحسين ظروف العمل والاستعانة بالورشات الخاصة في السجاد والطرز، وتعويذ بنات الأسر التونسية الكبرى على الحضارة الغربية وصبغهن بنمط الحياة اليومية الغربية وكسبهن إلى صف فرنسا حتى تسهل في نهاية المطاف السيطرة على المجتمع التونسي عبر المرأة[1].

ب- ثانوية(Lycée Armand Falliéres):تأسست سنة 1905م شملت مختلف الشرائح والمستويات التعليمية منذ تأسيسها بإستثناء المستوى العالي، خصصت لتعليم البنات لم يتجاوز عدد التلميذات التونسيات المسلمات 10 تلميذات من مجموع 711 تلميذة ، وفي سنة 1905م أصبحت معظم الثانوية تحت إشراف العنصر النسوي، بالإضافة إلى الزيادة المستمرة من جانب العنصرين الأوروبي واليهودي[2]، بلغ عدد التلميذات فيها سنة 1929م حوالي660 فتاة، ظلت هذه الثانوية تشهد صدى أقل ومحدودا من البنات المسلمات نظرا لطبيعة الأسرة التونسية أولا ثم رغبة الأسر الكبرى المتصلة مع الأوروبيين في هذا النوع من التعليم لوجودها في قلب العامة التونسية.

ج- مدرسة ترشيح المدرسات: أسست في جانفي 1911م، إشتملت على برنامجا دراسيا مماثل لبرنامج المدارس الفرنسية بفرنسا، مدة التعليم بها تدوم أربع سنوات ، ومن ضمن ما يحتوي برنامجها:

- دراسة الوثائق والنصوص .
- الإعتماد على عنصري الملاحظة والتجربة في ميدان العلوم .

فتحت أبوابها بـ 17 فتاة، وفي عام 1920م ضمت 30 تلميذة كلهن فرنسيات ، وإرتفع العدد إلى 62 طالبة كمعلمة سنة 1929م، رغم كونها قد فتحت أبوابها منذ

---

[1]- عادل بن يوسف: **تعليم البنت في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع الاستقلال**،موقع العربية ليدرز www.ar.leaders.com ، أخبار ،2019/10/03م ، تم زيارة الموقع يوم 20 مارس 2022م على الساعة 17:56 .

[2] - محمد قدور : المرجع السابق ، ص ص 241 – 242 .

سنة1911م فإنها لم تستقبل أول تلميذة مسلمة بها إلا في سنة 1926م من مجموع 53 تلميذة ،أما عن قلة إرتياد الفتيات للمدرسة ترجح لنظرة الأسر التونسية لهذا النوع من التعليم إختصت في إعداد المعلمات التونسيات والأوروبيات اللواتي يتهيأن لمباشرة التدريس بالمدارس الفرنسية- العربية أو بالمدارس الفرنسية، أما مسألة توظيف المتخرجات فيتم في المدارس الخاصة بالفتيات المسلمات، أو بالفتيات الفرنسيات.

د- مدرسة بول كامبون (Paul Cambon) .

وهي مدرسة تقنية لم تلق صدى لدى الفتيات المسلمات وظلت مهجورة من قبلهن، كونها ترمي إلى نفس ما كانت الفتيات يتحصلن عليه ضمن البيت العائلي من خياطة وطرز ونسيج وهذا لمن رأت منهن ضرورة قصوى للعمل، إشتملت على عدة شعب فنية مختصة[1] .

ففي عام 1924م بلغ عدد الطالبات بها 492 طالبة منهن 185 يهودية، بينما لم يتعدى عدد المسلمات سوى طالبة واحدة، إستمرت الطالبات المسلمات في هجرة المدرسة ولم يتغير الحال ولو نسبيا بحيث أنه خلال الموسم الدراسي 1929/1928م وصل عدد الطالبات وقتها 456 طالبة ومنهن 4 طالبات مسلمات فقط على خلاف المتمدرسات من الجاليات والطوائف الأخرى بتونس ومثلت الفرنسيات الأغلبية الساحقة بتعداد 283 طالبة[2] .

هـ- مدرسة جول فيري .

أسست للفتيات الفرنسيات منذ سنة 1885م قصد تمكين العائلات الفرنسية المستقرة بالإيالة من إسداء تعليم لبناتهن ، يماثل ما تتلقاه الفتيات الفرنسيات بفرنسا[3].

3)- المدارس المختلطة .

أ- **المدارس الفرنسية:** خصصت لأبناء الأوروبيين وكان دخولها ممنوعا على أبناء التونسيين وكان التعليم فيها صورة طبق الأصل للتعليم في فرنسا، الغرض منها تطبيق برامج لإخراج الناشئة عن قوميتها العربية لكي تتمكن من إدماجها في العنصر الفرنسي وذلك من

---

[1]- أحمد القصاب :المرجع السابق ،ص 307 .

[2] - محمد قدور: المرجع السابق ، ص ص 190- 191.

[3] - الهادي بوحوش، منجي العكروت: **مدرسة نهج الباشا أولى المدارس العصرية للفتاة التونسية** ،ج 1 ،المدونة البيداغوجية ، الأحد 1 فيفري 2015م .

خلال تكوين مدارس فرنسية خالصة[1] ؛تربعت اللغة العربية على عرش التعليم بعموم المؤسسات التعليمية كالزيتونة والكتاتيب والزوايا 'وما إن وطأت أقدام الفرنسيين تونس وضموها تحت لوائهم، فعمدوا إلى إنشاء مديرية التعليم العمومي بقيادة لوي ماشويل سنة 1883م وشرع الفرنسيون بتأسيس مدارس إبتدائية فرنسية للأوروبيين والعرب، على غرار المدارس الموجودة بفرنسا لم يذكر للغة العربية شأن فيها، سعى ماشويل من خلال توجهاته إلى توسيع رقعة هذا النمط من المدارس بكل المدن ويؤمها جميع الأطفال من مختلف الأجناس سواء كانوا تونسيين أو من جاليات أجنبية أخرى بغرض أن ينشئوا نشأة فرنسية صرفة[2]، إعتمدت هذه المدارس البرامج والمناهج الرسمية المنتهجة في فرنسا، في سنة 1919م بلغ عددها ما لا يقل عن 350 مدرسة رسمية إحتضنت ما لا يقل عن 51450 تلميذ .

بشكل عام كان معظم مرتادي المدارس الفرنسية من أسر الجاليات الأوروبية، أدرجت بضع ساعات للغة العربية بعد تسجيل عجز التام في كتابة وقراءة اللغة العربية عند المتخرجين، الهدف منها تعليم أبجديات اللغة العربية، ومع التحاق أبناء بعض الأسر التونسية الكبرى بها، وبدأ العدد يتزايد سنة بعد سنة فمن 1780 مسلما سنة 1889م إلى 5000 تلميذا عام 1909م[3] .

إضطلعت المدرسة الفرنسية بدور ريادي في بث الإيدولوجيا والثقافة الإمبرياليتين فمعظم المواد التي سمحت الحكومة بتدريسها واللغة التي تقدم به كان الهدف منها الرفع من شأن المستعمر "المتحضر" والحط من شأن المحلي الجاهل ضمن إطار سياسة التجهيل التي شكلت سلاحا فتاكا بيد المستعمر لتعميق تخلف الشعب التونسي لذلك عملت على أن يبقى معظمه أميا[4].

وعليه رغم كون التعليم بهذا النوع من المدارس تعليما فرنسيا صرفا إلا أنه وما يمكن التعريج عليه هو توافد الأطفال التونسيين عليها ومرد ذلك إلى أن بعض الأسر دفعت

---

[1] – ريم غانمي: **الحضور المسيحي بتونس من 1881 إلى 1930**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف نصر الجويلي، المعهد الأعلى لأصول الدين ،جامعة تونس ، 2004– 2005 م، ص54 .

[2] – الحبيب ثامر : المصدر السابق، ص56.

[3] – محمد قدور : المرجع السابق ، ص 209 .

[4] – حمه الهمامي: **المجتمع التونسي ،دراسة اقتصادية اجتماعية** ،صامد للنشر والتوزيع، ط 1 ،صفاقس – تونس ، جوان 1989 ،ص 41 .

بأبنائها لمزاولة الدراسة بالمدارس الفرنسية حتى قبل الحماية الفرنسية التي وجدت على أرض بالإيالة إلى جانب ذلك إن المشرفين والقائمين على التعليم العمومي منحوا الأطفال الذين يؤمنونها حق مزاولة تعليمهم العالي وبلوغ المرحلة الجامعية، والسبب في ذلك إفتقاد المؤسسات التعليمية الأخرى لهذا الحق، إلا أنهم كانوا أقلية صغيرة من الشباب التونسي[1] .

ب- المدارس الفرنسية – العربية:

إقترن ظهورها بشخصية لوي ماشويل، عقب إنتصاب الحماية الفرنسية على تونس بزمن قصير وجدت المدارس الفرنسية العربية وعدت وسطية بين المدرسة التونسية الأصلية والمدرسة الفرنسية الدخيلة؛ ومثلت من جهة أخرى كمحاولة إرضاء لغلاة المعمرين الرامية لإيجاد تعليم مزدوج اللغة ومهني الآفاق في آن واحد[2]، خصصت لأبناء الأسر المسلمة التونسية .

وفي عام 1905م فتحت أول مدارسها فعليا وتم بثها واقعيا وفقا لمرسوم 1886/11/20م المتعلق بالبرنامج العام للتعليم الإبتدائي لتعليم اللغة العربية والإيطالية بالمدارس العمومية وتدريسها، أخذت هذه المدارس في الإنتشار بتراب بالإيالة بمناطق عديدة منها: بنزرت، نابل وباجة، والكاف، سوسة، والمنستير، صفاقس وقفصة، جربة على غرار الأماكن التي يقطنها المعمرون فقط وبعض العائلات البرجوازية الأوروبية[3]،غلب على هذا النوع من المدارس منطق التعليم الفرنسي – العربي وإشتراك الفرنسيين والمسلمين في تقديم التعليم بها ففي وقت كان يشرف الأوروبيين على التعليم في شطره الفرنسي، وجه المسلمون الزيتونيون تجاه التعليم العربي الإسلامي[4]، أما عن برامجها فهي نسخة أصلية للتعليم الإبتدائي المعمول به في فرنسا فيما يتعلق بالمواد الفرنسية، كما كانت الكتب بها نفسها الموضوعة للأطفال الفرنسيين إضافة إلى التعليم بالعامية لأبناء الأسر الأوروبية .

أما عن المواد العربية فإقتصرت على التعليم القرآني واللغة العربية الفصحى وحسب بعض الدراسات تشير إلى أن اللغة العربية كونها معتمدة في برامج التعليم وتدرس إلا أنها

---

[1] – مختار العياشي:**أهمية البنية التحتية المدرسية في تونس قبل الاستقلال**، المدونة البيداغوجية ، الاثنين 28 أكتوبر 2019م .

[2] – محمد قدور: المرجع السابق، ص 220 .

[3] – علي المحجوبي : المصدر السابق، ص144.

[4] – ريتشارد ماكن:المرجع السابق ،ص 64 .

بقيت أقل حظا ونصيب نظير قرينتها الفرنسية التي مثلت العمود الفقري في المدرسة وذات قيمة العالية بها إلى جانب ذلك أدرج تاريخ فرنسا وجغرافيتها في مواد الدراسة، وتطورت المدارس الفرنسية العربية إلى مراكز خاصة بالذكور ما بين 05 إلى 15 سنة ومراكز خاصة بالإناث في نفس السن[1].

منذ بداية عهد الحماية لم تتردد حكومتها في العناية بهاته المدارس وتشجيعها حتى بعدما أحيل ماشويل على التقاعد وفي عهد شارليتي (charlety) أدرج بها التعليم التطبيقي الموجه صوب الاهتمامات المهنية، ويدوم تدريسه ثلاث سنوات، يتلقى فيه الأطفال مبادئ اللغة العربية والفرنسية ثم يليه تلقين تعليم زراعي، وأقيمت مراكز للتعليم الصناعي الإبتدائي[2].

وبذلك إحتل الجانب العلمي منصب الأسد في الحجم الساعي المعمول به،عدت هذه المدارس الرهان الذي تمسكت به سلط الحماية، فالهدف منها ضمان نشر اللغة الفرنسية والثقافة الغربية بين أبناء المسلمين وتوجيههم توجيها فرنسيا خالصا وبذلك صمام آمان لنجاح الفرنسية وما يترتب عن ذلك من حصار للثقافة الإسلامية العربية لدى التونسيين[3]، ولذلك صدرت حملات من الشعب التونسي للمطالبة بتعليم إبتدائي عربي في تونس.

وقد مثلت شهادة ختم التعليم الابتدائي التي أحدثت منذ سنة 1883م طموح غالبية العائلات التونسية التي إلتحق أبنائها بالمدارس الفرنسية – العربية؛ نظرا لما تتيحه هذه الشهادة من فرص عمل بالإدارة المحلية والإستعمارية وتعفي حاملها من الخدمة العسكرية الإجبارية وإعفاء عائلته من دفع ضريبة المجبى بالإضافة إلى الإرتقاء في السلم الاجتماعي وهذا يتطلب نجاح مدرسي[4].

ومن بين الشروط التي حددتها الإدارة لقبول المترشحين منها:

- السن ما بين 11 و14 سنة .
- إختيارية اجتياز الامتحان الذي يتضمن شقين كتابي وأخر شفهي .

---

[1] – محمد قدور: المرجع السابق، ص ص 223 – 224 .

[2] – الحبيب ثامر : المصدر السابق ، ص57 .

[3] – محمد قدور: المرجع السابق ،ص 221 – 222 – 224 .

[4]– الحسين بوحبيل:المدرسة الفرنسية– العربية للذكور بجرجيس(الجنوب التونسي) 1887 – 1955 م:التعليم والتدريب المهني والإرتقاء الاجتماعي، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنين ،**مجلة مدارات تاريخية – دورية دولية محكمة ربع سنوية**، مج الأول ، ع الأول ،مارس 2019 ،جامعة قابس – تونس ،ص 246 .

وقد منح القرار الصادر غرة مارس 1929م فرصة إستثنائية لإجراء دورة ثانية في شهر أكتوبر من السنة الدراسية الموالية تشمل المترشحين الذين تحصلوا على ثلاثة أرباع الحد الأدنى الضروري للنجاح في الدورة الرئيسية[1]، وتجدر الإشارة إلى أن الإقبال على هذه المدارس من طرف التلاميذ المواطنين يتراوح من مكان إلى أخر وبحسب الأهمية والموقف الذي حظيت به من قبل الأهالي[2].

ج- المدرسة العليا للغة والآداب العربية: تأسست في أكتوبر عام 1911م، أشرف عليها المستشرق الفرنسي "ويليام مارسي" ، في بداية الأمر كان روادها لا يستندون إلى شهادات جامعية بل غالبيتهم من المستمعين الأحرار، إعتلت نفس درجة المدرسة الصادقية[3].

د- مركز الدراسات القانونية (الحقوق) .

أنشأ سنة 1920م من قبل ركنتفالد يجتاز طلابه إمتحان الإجازة في الحقوق ويجرى بكلية الحقوق في الجزائر على إمتداد 3 سنوات ، ويمكنهم هذا الإمتحان من الحصول على شهادة الكفاءة في القانون التونسي[4]، ونطاق الدراسات العليا بتونس بعد الحرب العالمية تم تنظيم دروس عليا في اللغة والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا[5].

4)- المدارس الأوروبية المسيحية .

غداة إحتلال الجزائر كان يوجد بالبلاد التونسية عدد قليل من المؤسسات التعليمية العصرية تعود بالنظر إلى هيئات خاصة(طائفية) منها الإيطالية والمالطية واليهودية وغيرها تم تأسيسها إستجابة لحاجيات الجاليات الأوروبية المستقرة بالإيالة التونسية ومنها:

أ- المدارس اليهودية: تواجدت بتونس طوائف يهودية، قادمة من الأندلس، ومن ليفورنيو بإيطاليا، مما جعلها تكون جالية مهمة، لها تعليم خاص بها، عبارة عن مؤسسات التعليم الديني والمعروفة بالمدارس التلمودية وهي مقسمة لقسمين:

---

[1]- الحسين بوحبيل : المرجع السابق ،ص 247 .

[2] - خير الدين شترة : المرجع السابق، ص638.

[3] - عبد المالك خلايفة، الطيب غمام عمارة: دور الحركة الثقافية بتونس في عملية التحرير الوطني 1900-1956 م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: رشيد قسيبة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي ، 2016- 2017 م ، ص 40 .

[4] - عادل بن يوسف :النخبة العصرية التونسية، المرجع السابق ، ص ص 45 – 62 .

[5] - أحمد القصاب : المرجع السابق ، ص 312 .

✓ **تعليم خاص بالصغار:** تشرف على تقديمه كل من" أصلا" أو " الحدر" وهاتين المؤسستان إلى حد كبير شبيهة بالكتاب القرآني (الإسلامي) وتتمثل مهمتهما في تعليم الطفل الحروف، الكتابة والقراءة، والحركات ثم نصوص من التوراة والصلوات المتعددة، فقراءة التوراة فهما وشرحا وترجمته من العبرية إلى الدارجة وقراءة التفاسير خصوصا تفسير " راشي" و "التلمود".

✓ **المرحلة العليا:** يقدم هذا التعليم ما يصطلح عليه" يشف"، فيه تعمق دراسات التلمود والتوراة وتقرأ الكتابات الأخرى مثل: المدرشيم والزهر والتفاسير المتعدد[1].

إنقسم اليهود في تونس إلى صنفين هما: يهود مندمجون بالمجتمع التونسي،وتميزوا بإلتباسهم ببعض القوميات الأوروبية وإهتمام الرابطة الإسرائيلية بهم وبمساعدة الحركة اليهودية العالمية تم إحداث أول مدرسة يهودية يعود تاريخها لسنة 1878م أما اليهود الوافدون من ليفورنو بإيطاليا وهم المعرفون "بالقرانة"، فقد كانت صلتهم بالأوروبيين أوثق من صلتهم بيهود البلاد لذلك زاول أطفالهم التعليم بالمدارس الإيطالية.

أشرف على الدروس بهذه المدارس الحاخامات وكان جل روادها من الديانة اليهودية ووقعت هذه الأخيرة بدءا من سنة 1879م تحت الإشراف الرسمي للدولة الفرنسية وإستفادة من الدعم المادي بشكل خاص، خلال منتصف القرن التاسع عشر شهد تعليم اليهود حركة إصلاحية قادتها حركة مدارس الإتحاد الإسرائيلي العالمي. وكانت هاته المدارس تمول من طرف الإتحاد والصندوق المحلي للجالية ومؤسسات أجنبية مثل: الهيئة المركزية ليهود فرنسا، المؤسسة الإنجليزية اليهودية بإنجلترا وكان برنامج هذه المدارس محليا.

وفي سنة 1882م فرضت اللجنة المركزية للإتحاد الإسرائيلي العالمي مقررا عاما في كل مدارسها يعتمد اللغة الفرنسية لغة تعليم واللغة الإنجليزية والإسبانية والإيطالية والهندسة والفيزياء والكيمياء إضافة إلى العبرية والتاريخ اليهودي والتاريخ العام والجغرافيا.

أما العربية فلم يكن لها حظ يذكر فضلت غائبة بإستثناء حصص قليلة' كما كانت المدارس الإسرائيلية تقدم من جهة أخرى تعليما متقدما وعصريا بمساعدة الإتحاد الإسرائيلي[2].

---

[1]– أحمد سوالم : المرجع السابق ، ص 139 .

[2] – أحمد سوالم : المرجع السابق، ص 140 .

وعليه فإن التعليم الإسرائيلي كان رهينا بتواجد الجالية اليهودية بتونس، وساهم في تطوره ونموه الاتحاد الإسرائيلي العالمي وهذا النوع شكل النواة الأولى للتعليم الأوروبي الذي نما بفضل تواجد جاليات أوروبية لمهام سياسية أو إقتصادية وبفعل التنافس الإستعماري على البلاد التونسية والذي شكل التعليم إحدى حلقاته.

ب- مدارس الجالية الإيطالية: في سنة 1881م قدرت الجالية الإيطالية المتواجدة بتونس ب 15,000 شخص، وقد تم تخصيص مدارس خاصة لأبناء الجالية من قبل الحكومة الإيطالية، ففي العقد السادس من القرن التاسع عشر[1]أقدمت هذه الأخيرة على إنشاء مدرسة بتونس فالمدارس الايطالية إذن من أقدم المدارس الأوروبية بالبلاد التونسية وعموما فإن الشعور الديني كان أقوى حضوريا من الشعور الوطني لديهم .

ج- مدارس الجالية المالطية- الإنجليزية: وجدت لغرض البحث عن وسائل رزق أعوزتهم في جزيرتهم – مالطا- في ظل ضعف إمكانيتها وكانت ملحقة بالتاج البريطاني، في سنة 1881م قدرت الجالية المالطية بتونس بحوالي 7000 شخص، كل ذلك لم يكن يسمح للمالطيين بتونس بالطموح إلى تعليم أطفالهم بلغتهم القومية، وإفراز نمط تعليمي خاص بهم ورغم ذلك فقد تم سنة 1856م إنشاء مدرسة إنجليزية- مالطية[2].

د- المدارس التبشيرية(مدارس الإرساليات المسيحية) .

أسستها البعثات التبشيرية المسيحية، التي كانت تهدف إلى تنصير الشعوب الإسلامية وهو أمر يدخل ضمن السياسة الأوروبية، وتطلعات الكنيسة والفكر المسيحي عموما عن طريقها دخل التعليم الفرنسي لتونس، وقد عمل المبشرون بالتعريف عن تاريخ ولغة وعادات وأخلاق الشعب حتى يضمنوا عطفه وكسب مشاعره، وهذا يتوقف على شرطين أساسيين: معرفة آراء الطرف المقابل جيدا ثم مزجها بطابعه الخاص.

كما لعب الأب بورغاد[3] دورا هاما في تنشيط حركة التبشير بتونس وكتب في ذلك "إمدحوا كبراءهم" والمراد به هنا (التونسيين المسلمين)، إرفعوا معنوياتهم تلك هي وسيلة

---

[1]- عبد الجليل التميمي: **دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس(1830 – 1881)** ، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الاتحاد العام التونسي ، ع 3، يناير 1975 ، تونس، ص 16.

[2]- عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 12 .

[3] – بورغاد: هو فرانسوا بورغاد ولد سنة 1806م، مستشرق ومبشر فرنسي في المغرب العربي، انتقل إلى تونس سنة 1840م وأنشأ بها مطبعة له بالعربية والفرنسية " مسامرة قرطاجنة " وهي مناظرة جعلها بين قاض ومفتي وراهب، توفي سنة 1866م .ينظر: خير الدين الزركلي، ج5 ، ص 139 .

لإضفاء الذكاء على الناس وجعلهم أكثر إستعدادا وقبولا (يقصد به أراء الآخرين) تحدثوا للعرب عن تاريخهم وأعمالهم العلمية أعطوهم فكرة عمن كانوا في الماضي، ثم لثرواتهم هي وسيلة لجعلهم أكثر إستعدادا لتقييم ثرواتنا"[1].

إشتهر من المبشرين في تونس بالإضافة لبورغاد أخوات القديس يوسف والكاردينال لافيجري ومن العوامل التي ساهمت في تسهيل مهامهم إستفادتهم من التسهيلات التي قدمها لهم أحمد باشا باي، حيث منحهم الأراضي، وقام بتوسيع الكنائس، وقدم لهم الإعانات وإستمرت في عهد محمد باي، وفي عهد خلفه محمد الصادق[2].

في سنة 1843م قام الأب بورغاد بفتح مدرسة للبنات بالمرسى، وأوصى بفتحها لأخوات القديس يوسف، وقام بفتح معهد سان لويس الجديد سنة 1845م[3]،كما بعث سنة 1846م بالعاصمة مدرسة أخرى للفتيات أسند مهمة إدراتها إلى السيدة ملاح(معلمة يهودية تونسية) وتساعدها أخوات جمعية سان جوزاف، كما إستطاع إخوان المذهب الكاثوليكي إنشاء معهد لتدريس اللغة الفرنسية واللغة الإيطالية بتونس، وأنشأ الأسقف سوتر ثلاث معاهد للأطفال وخمسة منها للبنات وسار على نفس خطاه الأب أغستينو بإنشاء معهدا لتدريس الأطفال بدار منحه إياها محمد باي.

وفتحت الأخت دافيس معهدين بسوسة[4]وأنشأ إخوة المذهب المسيحي الذين كان نشاطهم مقصورا على القيام بالشؤون الدينية للجالية المسيحية المستقرة بتونس، مدرسة بحلق الوادي سنة 1870م.

كان يرتاد هذه المدارس بتونس 287 تلميذا يتوزعون حسب الجنسيات كالأتي[5]:

الجنسيات	فرنسيين	إيطاليين	مالطيين	نمساويين	تونسيين مسلمين
عدد التلاميذ	27	81	118	11	2

[1] – فتيحة شبيكة: **السياسة الفرنسية في تونس وأثارها الإجتماعية(1881 – 1920م)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة ، 2018–2019م ،ص 94 .

[2]– أحمد سوالم: إصلاح التعليم بتونس خلال القرن التاسع عشر ، المرجع السابق ، ص ص 141 – 142 .

[3]– عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص 10 .

[4] – عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 13 .

[5] – عادل بن يوسف :تعليم البنت في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع الإستقلال، المرجع السابق، ص 1.

أما الكاردينال لافيجري فقد بدأت مهمته بتونس سنة 1875م، وكان يعتبر الإسلام أشد أعداء المسيحية، ويرى أن عمل رجال التبشير، يجب أن ينصب على ميدان التعليم حين قال:" يجب إنشاء المدارس في كل مكان وكما تعلمون إنها الأداة القوية والضرورية لتحقيق سياسة الإدماج ،حيث نستطيع بفضلها إذابة كل العناصر التي تنتمي إلى أمم مختلفة "[1]على إنشاء معهد سان لويس بقرطاج سنة 1880م، الذي سيتحول إلى سان شارل بتونس.

وعلى هذا المبدأ قام لافيجري بزيارة عدد من المدن التونسية و إنشاء مجموعة من المدارس بمناطق مختلفة من تونس خصوصا بنزرت وسوسة والمنستير والمهدية وصفاقس وجربة، وقد عهد بالتدريس فيها الأخوات القديس يوسف، كما أنشا معهد من طرف الأخوات سيون بتونس سنة 1882م، بالإضافة إلى ذلك أنشأ ملجأ للفتيات بالمرسى تقوم أخوات القديس يوسف بالإشراف عليه، وملجأين للأطفال اليتامى، إلى جانب ذلك عمد إلى توزيع الأموال بسخاء على فقرائها، والعمل على تخفيف الغرامات التي فرضت على الأهالي، وكان نشاط لافيجري التبشيري يرمي أساسا في إحياء المسيحية وتأصيلها ونشرها مستعملا كافة الوسائل السانحة لتحقيق هذا الغرض[2].

في سنة 1881 كانت هناك 13 مدرسة تضم 3.163 تلميذا منهم 1.620 من البنين و1.543 من البنات غير أنه لم يكن يرتاد تلك المدارس من التلاميذ سوى 10 تلاميذ من المسلمين 7 منهم ذكور و3 بنات. تميزت مدارس التبشير بكونها مدارس ذات نظم ومناهج تعليم حديثة مقتبسة من النمط الاوروبي، وإستفادت من دعم الدول الأوروبية لأنشطتها بإعتبارها أداة من أدوات تدعيم النفوذ، وتمتاز مدارس الإرساليات التبشيرية بخصائص تربوية نذكر منها:

- ✓ أنها مدارس نظامية بها سجلات مدرسية وصفوف وبرامج دراسية و إمتحانات على النمط الأوروبي.
- ✓ إحتوائها على اللغات الأجنبية في نمطها التعليمي .

---

[1] – عبد المجيد شرفي: **الحركة التبشيرية في تونس في القرن التاسع عشر**، حوليات الجامعة التونسية، ع الثامن ، 1971 ، ص ص 131 – 156 .

[2] – عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص ص 15 – 17 .

✓ إدخالها المعرفة الرياضية والطبيعية و الإجتماعية في مناهجها الدراسية و إهتمامها بالأنشطة الموازية للتحصيل الدراسي كالألعاب والأنشطة الرياضية.

ومنه بشكل عام تدل هذه الأرقام الضعيفة على مدارس التبشير للغاية بالطابع الديني لتلك المدارس وخوف التونسيين على أبنائهم من التنصير– المتربص– بالمجتمع التونسي وفق مخططات ومشاريع الكنيسة المسيحية.

ويمكن القول أنه رغم تطور عدد التلاميذ المتمدرسين من سنة لأخرى يبقى أبناء المسلمين التونسيين هم أقل حظوظ في التعليم داخل المؤسسات التعليمية المتعددة (إبتدائية، ثانوية) بإستثناء صنف المدارس العربية الفرنسية، مقارنة بالجاليات الأوروبية الموجودة في تونس بإعتبار أن التونسيين يمثلون النسبة الكبرى من سكان الجالية مقارنة بغيرهم.

خلاصة الفصل .

ومما سبق ذكره نستنتج أن كل ما سعت إليه سلطات الحماية إلى الوصول إليه مراهنتها على التعليم وبالضبط السياسة التعليمية الواجب إنتهجها لا تخرج عن كونها نية مبنية في محاولة منها لإحداث القطيعة بين الماضي والحاضر التونسي، وكذلك نشر التشاؤم بين أفرادها وتنكرهم لدينهم وماضيهم وعرقهم .

كما كرست فرنسا سياستها التعليمية بقوة وهذا من خلال ما إنتهجته من سلوكيات لإنجاحها فقد ركزت وأولت إهتماما كبيرا للتعليم الرسمي حتى يكون تحت رقابتها مثلها مثل التعليم الحر والتعليم الرسمي هذا الأخير الذي كان منعدما قبل تركز الحماية الفرنسية على تونس .

أما مسألة تعليم البنات فقد تباينت الآراء حول هذه المسالة بالنظر إلى واقعها والدفع بها إلى التعليم من خلال خروجها من الجو العائلي المعتاد إلى المدارس والمؤسسات التعليمية أما عند التطرق إلى مراحل التعليم يمكن القول بأن فرنسا قد نجحت في هذا السبيل إلى درجة إستدراج (أطفال– ذكور –إناث) وإلحاقهم بالمدارس، هذه المدارس التي تمسك بها لوي ماشويل وإعتبرها نقطة نجاح وإنسياب الحماية الفرنسية على تونس، وتطبيقا للمشاريع الفرنسية، فقد أنشأت السلطات الفرنسية العديد من المدارس العصرية، لغرس أفكار المدنية الغربية في نفوس التونسيين، وضرب الهوية التونسية، إن أبناء التونسيين وجدوا أنفسهم في مقاعد التعليم العصري، وهو ما يبين الإزدواجية التعليمية في تونس، لذلك فالمؤسسات التعليمية العصرية المذكورة في هذا الموضوع هي أنموذجا للواقع التعليمي الذي كان سائدا خلال الفترة الإستعمارية إلى جانب التعليم الأهلي(القرآني) في الكتاتيب وجامع الزيتونة وفروعه. فقد أخضعت التعليم وفقا لأنظمها وما تتطلع إليه من خلاله إتجهت سياستها تجاه المؤسسات التعليمية بتشديد الخناق على اللغة العربية وكل ما له صلة بالعربية والحط من شأنها في جميع الإدارة وإحلال اللغة الفرنسية مكانها ’مع تهميش التعليم الذي كان متواجدا قبل الحماية بإدخال برامج عصرية جديدة تخدم مصالحها الإستعمارية وذلك من خلال إنشاء مدارس فرنسية لها ،لقد نجح المبشرون في تونس في مهمتهم، وسهلوا الاحتلال الفرنسي لتونس من خلال إعتمادهم على التعليم إلى جانب التمريض، في مقابل ذلك شكلت النخبة اليهودية التي تكونت في مدارس الإتحاد الإسرائيلي العالمي والنخب التي درست بالمدارس الأوروبية ومدارس التبشير فئات مدافعة عن الإستعمار ومصالحه، لكونها

إستفادت من مدارسه التعليمية التي حرم منها الأهالي التونسيين فالتعليم الذي أرسته فرنسا بعد سيطرتها على البلاد التونسية، يساير ويخدم مصالحها الإستعمارية بتونس.

الفصل الثاني:

المواقف التونسية تجاه السياسة التعليمية الفرنسية وتأثيرها على المجتمع التونسي.

أولا: المواقف التونسية.

1)- موقف عموم الشعب .

2)- موقف النخبة .

ثانيا: تأثير السياسة التعليمية الفرنسية على المجتمع التونسي.

1)- طبقات المجتمع.

أ- الطبقة المثقفة.

ب- الطبقة المهمشة.

ج- المرأة التونسية.

2)- مقومات المجتمع التونسي.

أ- اللغة .

ب- الدين الإسلامي .

3)- المناهج والبرامج التعليمية التونسية .

أولا: المواقف التونسية تجاه السياسة التعليمية الفرنسية .

أدرك الشعب التونسي بكل شرائحه خطر هذه السياسة التعليمة، فبادر إلى مقاومتها منذ بداية الحماية، وإلى المطالبة بتعليم قومي أساسه اللغة العربية، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن ردود الفعل التونسية تجاه هذه السياسة الفرنسية؟ وعن الوسائل التي إستخدامها من أجل مواجهتها؟ وكيف أثرت السياسة التعليمية في المجتمع التونسي؟ وسوف نعالج في هذا الفصل تأثيرات السياسة التعليمية الفرنسية على طبقات المجتمع التونسي المختلفة وما مدى تأثيرها على الطبقة المثقفة التونسية بشقيها الزيتوني والصادقي؟ وعلى ديانته السمحاء، وعلى مكونات ومقومات هويته.

1)- موقف عموم الشعب .

منذ أن أرست فرنسا أركانها بتونس سعت جاهدة لنشر الثقافة الفرنسية وقيمه وكذا تعميم اللغة الفرنسية بكل القطاعات والمؤسسات بدل اللغة العربية، وعليه إذن فقد كان التعليم الوسيلة الجماهيرية المثلى لتحقيق تلك الغاية غير أن الشعب التونسي لم يقف مكتوف الأيدي تجاه سياسة فرنسا في التعليم وصاروا يهاجمونها، فبعد أن قام الفرنسيون بتأسيس إدارة العلوم والمعارف سنة 1883م، ووضع برامج لإنشاء مدارس إبتدائية فرنسية للأوروبيين والعرب، شن الشعب التونسي حملات عنيفة على السلطة الفرنسية[1]، رافضين هاته المدارس وبل أخضعوا سلطات الحماية على إدخال اللغة العربية في برنامج هذه المدارس العربية الفرنسية بالبلاد وقد مكثت اللغة العربية إلى سنوات لاحقة إختيارية وأصبح التعليم باللغة العربية يحتل ثلث أوقات الدراسة وهذا راجع لقيام الشعب منذ أول عهد الحماية بالمطالبة بنشر التعليم في كافة أنحاء البلاد وجعله باللغة العربية، كما سعت إدارة الحماية إلى محاربة انتشار التعليم في تونس عموما ، وهذا بعدما أودع الشعب التونسي التعليم في مقدمة مطالبه القومية[2] .

مما أدى بالسلطات إلى إقتراح مشروع "التعليم اليدوي(المهني)" إلا أن هذا المشروع تم إلغاؤه لأنه قوبل بالرفض والمقاومة الشرسة من طرف الشعب التونسي خاصة عن طريق الصحافة،إلى جانب ذلك لقد لقي إستهداف فرنسا للفتاة التونسية من خلال تعليمها ودمجها في مدارس خاصة بهم معارضة كبرى من قبل جموع المجتمع التونسي بحكم أن غالبية أفراد

---

[1]- الحبيب ثامر : المصدر السابق ، ص 56 .

[2]- نفسه : ص 57 .

هذا المجتمع محافظين بعد أن ساد في إعتقادهم بأن هذه المدارس من شأنها أن تفسد الروح الدينية و الأخلاقية لدى البنت المسلمة خصوصا أن هذه المدارس في الأساس فرنسية، وسيشرف عليها موظفون ومعلمات فرنسيا[1]لكن غالبية المجتمع التونسي لم تكن معارضتهم إزاء تعليم البنات في حد ذاته، بل كانت لتعليمهم في بيئة فرنسية غير إسلامية، وهو ما دفعهم للمطالبة بتوفير الإطار العربي لهذه المدارس مع بعض الدروس الفرنسية[2] .

إضافة إلى هذا كله فقد دفعت السياسة التعليمية الفرنسية، الشعب التونسي إلى الاعتماد على نفسه إذ حمل على عاتقه تأسيس مدارس حرة من أمواله الخاصة، لإشباع رغبته المحلة في العلم والثقافة رغم محاولات فرنسا بمحاربة هذه المدارس وتضييق الخناق عليها[3].

كانت المدارس الفرنسية واللغة التي تدرس بها لم ترض التونسيين الذين يحرصون على تثقيف أبنائهم بلغتهم القومية فظلوا يرفعون الاحتجاجات مطالبين السلطة الفرنسية بجعل لغة البلاد هي اللغة الرسمية للتعليم[4].

ومنه يتضح لنا أن عموم الشعب التونسي اتسم موقفهم بالرفض إلا في بعض الحالات النادرة، وقد ساهموا بشكل أو بآخر في إفشال السياسة التعليمية، التي كان هدفها الأسمى محاربة اللغة العربية من جهة، والوقوف ضد شمولية التعليم في صفوف المجتمع التونسي من جهة أخرى.

2) – موقف النخبة .

لقد تنازعت مكونات النخبة التونسية فيما بينها وإنقسمت إلى تيارين إحدهما يمجد الموروث والتقاليد والأخر يبحث عن الإصلاح والتجديد وذلك حول قضية مصيرية تتعلق بصنع واقع تعليمي تونسي جديد محوره التعليم[5]، ولقد برز عمل هذه النخبة المثقفة في التصدي لسياسة فرنسا ومخططاتها تجاه التعليم من خلال محاولات إضفاء الطابع الفرنسي عليه، وكانت الانطلاقة من داخل تونس بالضبط، بداية بالتصدي لمشروع ماشويل صادرة من أبناء الصادقية والجامع الأعظم – الزيتونة – معا رغم ما قيل عن التباعد والتباين بين

---

[1]– أحمد قصاب : المرجع السابق ،ص ص 301 – 302 .

[2]– عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق، ص 66 .

[3]– الحبيب ثامر : المصدر السابق، ص 58 .

[4] – نفسه :ص 58 .

[5]– فتحي معيفي: **النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، مج 10، ع 2، ديسمبر 2019م ،ص 175 .

الإتجاهين، فقد إنتهج كل منهما أسلوبا مغايرا لتحرك الطرف الآخر، غير أن المهم في ذلك أنهم كانا يناضلان ضد قضية واحدة مهمة ومحور إتفاقهم، ألا وهي الهم التونسي، والمتمثل أساسا في مواجهة السياسة التعليمية الفرنسية في تونس[1].

أ- النخبة الزيتونية .

شكلت الزيتونة إحدى قلاع مقاومة التغلغل الإستعماري بتونس، والذي يهدف إلى مسخ الهوية اللغوية للتونسيين، إذ قام طلبة الزيتونة بجهود فكرية للدفاع عن اللغة العربية، ومقاومة السياسة التعليمية الفرنسية من خلال العديد من المؤتمرات[2]وبرزت النخبة الزيتونية بروزا واضحا في مطلع القرن العشرين وضمت مجموعة من المثقفين الذين زاولوا تعليمهم بجامع الزيتونة، والذي يعد من أهم مراكز الإشعاع الفكري والعلمي بتونس[3].

في البداية سعت سلطات الحماية إلى تقزيم دور الزيتونة في مقابل تسليط الضوء على الشخصيات الصادقية، إلا أنه أمام تنامي العمل الزيتوني إيجابيا فقد كان طلبة جامع الزيتونة الذين تكونت منهم الطبقة الثقافية الكادحة أكثر مساهمة في المواقف التي حالت بين الحكومة الفرنسية وطموحها في فرض ما تراه على التونسيين[4].

رفض وقاوم الزيتونيين كل ماهو أجنبي ودخيل عن المقومات الوطنية فقد رفضوا الإنصياع لكل محاولات سلط الحماية الفرنسية التي تهدف إلى تغريب وفرنسة المجتمع التونسي[5]التي من شأنها القضاء على الهوية الوطنية ومقوماتها للتونسيين فكانوا في ريادة الصف الأمامي على خط المجابهة ضد الإستعمار[6].

---

[1]- محمد قدور : المرجع السابق ، ص 297 .

[2]- أحمد سوالم :**الهوية التونسية والمغربية خلال الحماية الفرنسية** ، ثقافات www.thaqafat.com ،16 يوليو 2014 ،تاريخ زيارة الموقع 16 فيفري 2022، على الساعة 20:00 .

[3]- شمس الدين زراري،جمعة بن زروال: **نشاط طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية من 1881 الى غاية 1956**،مجلة الإحياء، مج 20 ، ع 27 ،نوفمبر 2020 ،ص 732 .

[4] - محمد قدور:المرجع السابق ، ص280 .

[5] - علي غنابزية ،كوثر هاشم: **جذور مبدأ الاستقلال لدى النخبة الوطنية التونسية في جامع الزيتونة ما بين 1881-1920م** ، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي ،ص 2 .

[6] - جمعة عليوي فرحان الخفاجي،وسام هادي عكار عظيم:**السياسة الفرنسية حيال تونس(1881 -1914)**،مجلة الأستاذ، ع 214 ، مج الأول، سنة 2015م/1436هـ ،ص 265 .

✓**مطالبها.**

كانت المطالب الأساسية المقدمة من قبل الشبان الزيتونيين لتحطيم العزلة والوضع الهامشي الذي كانت السلطات الاستعمارية تعمل جاهدة إلى جعلهم يتموقعون ضمنها تتمثل في:

1 – منح اللغة العربية المكانة المرموقة التي تستحقها في التعليم بإعتبارها اللغة الوطنية وأداة للتعليم.

2– إصلاح التعليم الزيتوني سواء من حيث المحتوى أو من حيث الطرق التربوية.

3– الموازاة بين التكوين والتشغيل بمعنى إيجاد همزة وصل بين ما تعمل فيه الزيتونة وما يصبو إليه النظام الإجتماعي والإقتصادي الذي تصبو إليه حكومة الحماية[1].

✓**وسائلها.**

لم تكن وسائل النخبة الزيتونية تختلف عن الأساليب التي إعتمدتها باقي المؤسسات الأخرى، إلا أن النشاط العلمي والثقافي عد الميدان المفضل لديهم كونه يضمن إستمرار المجال الدفاعي بمعناه الواسع، وإرتكزت مقاومة النخبة الزيتونية ضد السياسة الاستعمارية الثقافية على التونسيين أولا في الحفاظ على العادات والتقاليد التي تمثل إمتدادا لهوية الشعب التونسي.

ومن أبرز شخصيات النخبة الزيتونية نذكر منهم: محمد بيرم الخامس (1840 – 1889م) وعبد العزيز الثعالبي(1874 – 1944م) ومحمد الطاهر إبن عاشور(1879– 1973م)[2].

---

[1]– علي الجندوبي: **سير الحركة العلمية والثقافية بتونس**، مجلة البصائر، الجزائر، العدد 294 ،1954–1955م، ص196.

[2]– وسام نويري :**دور الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم بتونس(1879 – 1973م)**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ العالم المعاصر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ،جامعة محمد بوضياف ،المسيلة ،2015– 2016م ،ص ص 16 – 19 .

✓ **الصحافة .**

❖ **جريدة الصواب:** أسست عام 1904م على يد محمد الجعايبي[1] والذي يعد من كبار الكتاب والصحافيين التونسيين في الثلث الأول من القرن العشرين، وهي صحيفة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة ،فتولى إدراتها بنفسه وكان يصدرها بمدينة تونس ، هدفها التعبير عن خدمة البلاد والمطالبة بالعدالة ونشر الحقيقة وعرض المسائل التي تواجهها البلاد بأمانة عدت لسان حال جيل من الزيتونيين ونالت ثقة الشباب التونسي[2].

✓ **المظاهرات والإضرابات .**

❖ **إضراب 18 أفريل 1910م:**قام به البعض من الشباب الزيتوني للمطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني وجعله مواكبا لروح العصر، وبضبط جداول أوقات التدريس لوضع حد لغيابات المدرسين وتدريس مواد التاريخ والجغرافيا، وقد ناصرهم علي باش حامبه ثم إنتهى هذا الإضراب في شهر أفريل من نفس السنة مع إطلاق سراح 8 ثمانية من الطلبة المسجونين وتعهد الحكومة بإعتماد مبدأ إصلاحات[3] .

❖ **إضراب 3 ماي 1930م:** شن هذا الإضراب من قبل طلبة جامع الزيتونة بالإشتراك مع تلاميذ المعهد الصادقي والمدرسة العلوية كانت شرارة إندلاعه الإحتفالات الخمسينية للحماية الفرنسية بتونس وما تمثله هذه الإحتفالية من خطر كبير على دينهم الحنيف[4] .

وخلال النصف الأول من القرن العشرين إنقسمت النخبة الزيتونية إلى صنفين رئيسين في ثنائية المحافظة والإصلاح، فإذا كان البعض منهم يعتقدون بأن المحافظة على الطابع

---

[1] – محمد الجعايبي: ولد بتونس سنة 1876م ، درس بالزيتونة وإشتغل بالتجارة، عضوا في الجمعية الخلدونية وبالجمعية الخيرية الإسلامية ، أسس عدة جرائد، أسس جريدة الصواب 1904 ،ومجلة خير الدين 1906 ،وترأس تحرير جريدة الزهرة ، ويعتبر من مؤسسي الحزب الحر الدستوري، من أبرز الوطنيين، توفي ماي 1938م، ينظر: محمد حسين اللولب: أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013 ، ص76.

[2] – علي الزيدي: **الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية من 1904 إلى 1945**، مكتبة علاء الدين ، ط1، صفاقس ،مارس 2007 ، ص 31 .

[3] – عبد الباسط الغابري: **الزيتونيون والوعي بقيمة الثقافة في تحقيق الاستقلال الكامل**، مجلة الحوار المتوسطي،جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس ، مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، الجزائر، ع 15-16 ، مارس 2017م ، ص 184 .

[4] –عائشة بن يوسف: **المؤسسات الدينية والعلمية بتونس ودورها في مواجهة السياسة الدينية والثقافية 1881 – 1956م** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، شعبة التاريخ ، جامعة الشهيد حمه لخضر ، الوادي، 2018-2019 ،ص 107 .

التقليدي للزيتونة يقيها من مهاوي الإنحراف عن وظائفها الدينية والروحية، فإن الصنف الآخر منهم عد الإصلاح شرطا ضروريا لإستمرارية المؤسسة الزيتونية في واقع متسارع التغيير والحداثة[1].

✓ **الجمعيات:** شكلت مسارح هامة للمحافظة على التقاليد والعادات ضمن المقومات الإسلامية ونبذ ما تدعيه سلطات الحماية بالحداثة والعصرنة وهي عديدة منها:

❖ **جمعية الطالب الزيتوني:** في عام 1907م أسس الطلبة الزيتونيين جمعية خاصة بهم فقاموا بضغوط متواصلة متمثلة في العرائض والإضرابات من أجل إدخال العلوم العصرية إلى الزيتونة[2].

❖ **جمعية الشبان المسلمين:** على إثر سعي الإدارة الإستعمارية إلى تجميد التعليم الزيتوني بهدف حصره في الآداب العربية والعلوم الشرعية، فكانت تهدد خريجي الجامعة الزيتونية في مستقبلهم تشكلت هذه الجمعية[3]، وبرزت للوجود في أكتوبر سنة 1928م،وكان أول من دعا إلى تأسيسها هم: مصطفى بن شعبان والطيب بن عيسى[4]، محمد شمام ،تولى رئاستها محمد الصالح بسيس[5]، تهدف هذه الجمعية إلى الإصلاح الإجتماعي والديني بالمسلمين التونسيين وحملهم على إتباع كتاب الله وسنة رسوله، لكي يحرس الدين، ويحمي العربية، ويحافظ على القومية ويقاوم الإلحاد والملحدين في نظام وجماعة وقوة ،ويبعد عن الدين ما ألصقه به المغرضون من خرافات وشبهات في البلاد التونسية[6].

---

[1]– شمس الدين زراري : المرجع السابق ، ص 732 .

[2]– عبد الكريم عزيز :**نضال شعب أبي تونس 1881 – 1956** ،مركز النشر الجامعي، تونس ، 2001، ص 76 .

[3] – خليفة الشاطر وآخرون : **تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**، ج3 ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م ،ص94.

[4] – الطيب بن عيسى: هو الطيب بن عيسى البليدي من أصل جزائري ،ينحدر من البليدة ،ولد سنة 1885م ،هاجر مع عائلته إلى تونس بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، زاول تعليمه الابتدائي بالكتاتيب بعدها التحق بجامع الزيتونة ، كتب في الصحافة التونسية في ريعان شبابه نشر مقالاته في جريدتي الرشدية والصواب ، أسس جريدة المشير له سنة 1911م، = = ينظر: محمد بوطيبي: الشيخ الطيب بن عيسى وإسهاماته في الحركة الوطنية والإعلام التونسي خلال النصف الأول من القرن العشرين، **مجلة عصور**، مج 17 ، ع الأول ، سبتمبر 2018 م ، ص 227 ،

[5] – محمد الصالح بسيس: كاتب وأديب ومفكر ،ولد سنة 1914م بتونس،درس بجامع الزيتونة،وكان عضوا في جمعية الشبان المسلمين، راودت أقلامه الصحافة خاصة جريدتي الزهرة والنهضة، لديه العديد من المؤلفات،ينظر: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج1 ، ط2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1994م، ص ص98–101 .

[6] – علي الزيدي : المرجع السابق ، ص 122.

ومن أهم المطالب التي نادت بها جمعية الشبان المسلمين والتي قدمتها في شكل عريضة للجنة التحقيق البرلمانية الفرنسية تتمحور حول ثلاث نقاط أساسية وهي:

– التعليم: أما في ميدان التعليم فقد أشارت الجمعية إلى حالة التردي التي أصبح يعيشها هذا القطاع فطالبت بإقرار إجبارية التعليم وتكثيف المدارس الحرة ورصد التمويلات لها وبضرورة الإسراع في تطبيق الإجراءات المتخذة لإصلاح التعليم الزيتوني.

– اللغة العربية: وهذا من خلال وضع اللغة العربية في المدارس الإبتدائية.

– مستقبل الشباب: بالنظر ووصف الأزمة الإجتماعية التي يعيشها الشباب التونسي نظرا لقلة الإكتراث التي يبديها المستعمر لتشجيع الحركة الكشفية والرياضية في المجتمعات الإسلامية[1] .

وعلى هذا النقيض من هاته الخطى لم تكتف النخبة الزيتونية في إنشاء الجمعيات التي دأبت مسارها ومنها نذكر:الجمعية الناصرية 1904م،الجمعية الإسلامية 1905م،جمعية التهذيب 1912م،الجمعية الخيرية الإسلامية 1910م ،جمعية النصر الرياضي 1906م[2] .

ورغم ما واجهته النخبة الزيتونية من مضايقات إلا أن ذلك لم يثن من عزمها ولم يحد من مقاومتها له حيث عادت بعلمائها وطلبتها بقوة إلى مسرح العمل الوطني .

ب– النخبة الصادقية .

إلى حدود سنة 1881م كانت الثقافة في تونس ثقافة عربية إسلامية خالصة، وكان التعليم القرآني الإبتدائي منظما بالكتاتيب من ثمة يتواصل بالجامع الأعظم الساهر على تكوين إطارات البلاد الدينية والإدارية، إلا أن ذلك العهد لم يعمر طويلا خاصة بعد تأسيس المدرسة الحربية بباردو سنة1840م والمعهد الصادقي سنة 1875م حيث كان لهذا الأخير أثرا كبيرا في تنظيم تعليم اللغات الأجنبية والمواد العلمية،وتخريج طلبة وتلاميذ متشبعين بثقافة فرنسا وحضارتها، وبالتالي بالثقافة الغربية الأوروبية إضافة إلى ذلك أن مجموعة من هؤلاء الطلبة واصلوا تعليمهم العالي بفرنسا، ما مكنهم من القيام بدور هام جدا في بعض ميادين النشاط الثقافي والصحافي بوجه خاص[3] .

---

[1] – عائشة بن يوسف : المرجع السابق ، ص 96 .

[2]– محمد قدور :المرجع السابق، ص 338 .

[3]– أحمد القصاب :المرجع السابق، ص ص 321 – 322 .

وهكذا أخذت المدرسة الصادقية تمد المجتمع التونسي بأفواج من الشبان المثقفين بالفرنسية والملمين في نفس الوقت باللغة العربية وشيء من آدابها ومن علوم الدين وسرعان ما أخذ هذا الشاب الصادقي يمارس دوره كنخبة متنورة تعمل على تنوير العقول[1]، وقد أطلق إسم "**المدرسيين**" على تيار الصادقيين وخريجي المدرسة الصادقية والذي كان يستوحي النموذج الفرنسي متخذا من شعار "المشاركة" وسيلة لتحقيقه، وتمت ترجمة هذا الشعار في ميدان التعليم إلى عبارة كان يرددها المدرسيون كثيرا وتلخص مذهبهم في التعليم وهي عبارة " **التثقيف بالفرنسية وتعليم العربية**"[2] فلم تكن الشبيبة الصادقية إلا أحد جناحي النخبة التونسية، التي قامت بتنشيط العديد من التظاهرات الثقافية من خلال الوسائل المتاحة مثل الصحافة والمؤتمرات واللقاءات ونحوها.

في بادئ الأمر إتسمت جهود النخبة الصادقية بالطابع السلمي كونها مستلهمة من مبادئ الثورة الفرنسية وإصطبغ على سلوكهم الإعتدال والمهادنة بحيث أنهم لم يلجأووا للعنف إلا في مرات قليلة، ولم تكن جماعة الصادقيين جماعة رافضة للحماية الفرنسية والتعاون معها.

فمنذ البداية قد أظهر هؤلاء مقصد غايتهم والتي لا يجب بأي حال من الأحوال أن تكون أدنى من تجديد التعليم ، عبر تزويده و تطعيمه بمختلف العلوم الغربية، دون أي تنازل عن الخصوصيات الشرقية للطابع التعليمي التونسي المتميز شكلا ومضمونا، وكان مثالهم الأسمى في مسارهم هذا ،جملة الإصلاحات التي قادها الشيخ محمد عبده ورشيد رضا تلهما محب الدين الخطيب، فقد عمت وإجتاحت ربوع العالم الإسلامي بشرقه وغربه[3]،و بالتالي فقد تنوعت مجالات الحركة والنشاط لدى رواد الصادقية مما أسهم في طغيان بروزها أكثر فأكثر وتعددت إستخدامات النخبة الصادقية من العمل الصحفي، وإنشاء الجمعيات والمشاركة في المؤتمرات وصولا للميدان السياسي[4].

---

[1]– محمد الجابري: **التعليم في المغرب العربي**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ، ص 71 .

[2] – نفسه :ص 75 .

[3]– بوفلجة حماوي : المرجع السابق، ص 102 .

[4] – عبد الكريم عزيز: المرجع السابق، ص 139 .

ومن أبرز أقطاب الصادقية:خير الله مصطفى(1807- 1965م)[1]والبشير صفر(1856-1917م)[2]،علي باشا حامبه[3] (1876- 1918م) ومحمد الأصرم (1858- 1925م) .

✓**وسائلها.**

❖ **الصحافة .**

نظرا للأهمية الكبرى التي حظيت بها الصحافة فقد جعلت لهذه الفئة من التونسيين أن تلجأ إليها للتعبير عن آلامها وطموحاتها وإيقاظ الهمم ورفع المطالب وضمن هذا المجال كان ميلاد العديد من الصحف والجرائد التي اتخذتها النخبة الصادقية نذكرها:

❖ **جريدة الحاضرة:** تأسست في 2 أوت 1888م،على يد نخبة من شيوخ وعدد من خريجي المعاهد الفرنسية والإنكليزية العليا وكانت هذه الجريدة أسبوعية ناطقة باللغة العربية، وأسندت رئاسة تحريرها إلى علي بوشوشة[4] وجمع من حوله ثلة من المثقفين الأقوياء، وقد ساهمت في تكوين رأي عام تونسي متميز[5]، خاصة أنها إعتنت بالأخبار وقضايا التعليم وبفعل ما كانت تتناوله من قضايا عامة، كحملة مصادرة العقارات، والتضييق على التعليم وقد استمرت جريدة الحاضرة في الصدور حتى سنة 1910م وإستقبلها التونسيون بقلوب متعطشة للعلم والمعرفة .

---

[1] – الصادق زمرلي : المصدر السابق ،ص 121 .

[2]– نفسه ،ص 141 .

[3] – علي باشا حامبه(1879 – 1918م): درس بالزيتونة والمدرسة الصادقية، كان له ضمير وطني وقد اشترك في تأسيس جمعية قدماء تلامذة الصادقية وساهم في تنشيطها وكان يحمل فكرة الإصلاح في نفسه، أسس جريدة التونسي سنة 1907م ، ودافع عن حقوق الشعب التونسي، ساهم في أحداث طرابلس 1911 نفته فرنسا فذهب إلى الأستانة وقضى بقية حياته في الدفاع عن وحدة المغرب العربي ينظر :يوسف مناصرية:**الحزب الحر الدستوري القديم 1919 – 1934**،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر،1985 – 1986م ، ص27.

[4] – علي بوشوشة : من أصل جزائري ينحدر من مدينة جيجل ، هاجر إلى تونس مع جده بعد إحتلال فرنسا للجزائر ، وإستقر مع عائلته ببنزرت ، إلتحق مبكرا بالكتاتيب ثم جامع الزيتونة وثمة بالمدرسة الصادقية ، وواصل مساره التحصيلي بإنجلترا وبريطانيا ، أسس جريدة الحاضرة سنة 1881م ، توفي في 18 أوت 1917م ، ينظر : محمد بوطيبي: مسألة الحجاب والسفور في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين،**مجلة القرطاس للدراسات التاريخية والحضارية والفكرية**، مج السادس،ع 12 ،جويلية 2019 م، ص 104 .

[5] – يوسف مناصرية : المرجع السابق ، ص 18 .

ومن الأقلام الصحفية التي نشطت في جريدة الحاضرة وإهتمت بنشر المقالات والقضايا نذكر منهم: البشير صفر[1]،سالم بوحاجب[2] ومحمد نوري[3].

❖**جريدة الزهرة:** ظهرت سنة 1890م وهي جريدة أسبوعية أسسها محمد الصنادالي والذي تكون بمصر وتأثر برجالها وأخذ عنهم؛ إهتمت بالأخبار الوطنية ونقذ الإدارة الفرنسية ورجالاتها زمن الحماية وبفضح نواياها والتنديد بأعمالها في البلاد، ظلت تحت مراقبة سلط الحماية لئلا منعت من الصدور سنة 1897م بعد وفاة مؤسسها[4].

❖**جريدة التونسي:** تأسست في 7 فيفري1907م وتعد ثاني جريدة وطنية ذات بعد سياسي ناطقة باللغة الفرنسية ساهم في ظهورها كل من علي باش حامبه ومحمد نعمان الزمرلي والزاوش[5]،تطور برنامجها مع مرور الزمن وقد دافعت بشدة عن مسألة تعليم الذكور والإناث من أبناء التونسيين إستمدت مطالبها المقدمة لسلطات الحماية من أنين الشعب التونسي سواءا في الإدارة أو الحياة السياسية والتعليم وكانت لسان حال حزب تونس الفتاة[6].

✓ **المؤتمرات والندوات:** شكلت الندوات والمؤتمرات فضاءات مهمة للنخبة التونسية وركيزة من دعائم النشاط الثقافي، من أجل التعبير عن أفكارها ومطالبها من خلال المشاركة في العديد من المؤتمرات والندوات سواءا أكانت داخل تونس أم خارجها على غرار: مؤتمر مرسيليا

---

[1] – البشير صفر (1856 – 1917م): ولد بتونس العاصمة في عائلة من أصل تركي، دخل المعهد الصادقي منذ تأسيسه 1875م، واصل تعليمه الثانوي بمعهد سان لويز بباريس، وبانقطاع منحة الدراسة بقي في تونس، وباشر عدة وظائف منها رئيس جمعية الأوقاف وكانت أفكاره إصلاحية تنشر عبر جريدتي " الحاضرة" و "التونسي".ينظر:علي المحجوبي: **الحركة الوطنية التونسية ما بين الحربين** ، منشورات الجامعة التونسية، مج 2، 1986 .

ص28 .

[2] – سالم بوحاجب(1827 – 1924م):من رجال الدين والفكر والإصلاح والتعليم في تونس ، وأحد مساعدي الوزير خير الدين باشا ، عبد الرحمان جرادي: المرجع السابق ، ص 19 .

[3] – بوفلجة حماوي : المرجع السابق ص 103 .

[4] – محمد قدور :المرجع السابق، ص 311 .

[5] – عبد الجليل الزاوش(1873– 1947): ولد بتونس سنة 1873م في عائلة معروفة بخدمتها للدولة الحسينية والدولة التونسية ، بعد إتمام تعليمه الابتدائي والثانوي إلتحق بمعهد سان شارل وكذلك المعهد الفرنسي بتونس ، ثم تواجه للدراسات العليا ودرس الحقوق، تقلد عدة مناصب سياسية مرموقة في أجهزة الدولة التونسية ، ويلقب ب " صاحب الانجازات والصحافي ورجل السياسة " ، توفي في 4 جانفي 1947م اثر حادث بسيط ، ينظر: محمد الصادق الزمرلي : المصدر السابق ، ص ص 253 – 270 .

[6] – عمر إبن قفصية: **أضواء على تاريخ الصحافة التونسية** 1860– 1970، دار أبو سلامة للطباعة والنشر، تونس،1972 ،ص 38 .

سنة 1906م،مؤتمر شمال إفريقيا الذي انعقد في أكتوبر عام 1908م والذي إختص بدراسة شؤون بلدان إفريقيا شارك فيه الشباب التونسي وعدد من المثقفين[1].

✓ **الجمعيات:** ساهمت الجمعيات والنوادي الثقافية بنصيب كبير في نشاط النخبة الصادقية وتقمصت أدوار هامة، ومن أبرزها:

❖ **الجمعية الخلدونية:** تأسست في 22 ديسمبر 1896م بمبادرة من جماعة الحاضرة، وإستمدت تسميتها من إسم العلامة والمؤرخ عبد الرحمن إبن خلدون وتهدف إلى إدخال الثقافة العصرية إلى حلقات جامع الزيتونة حيث أسندت رئاستها إلى محمد الأصرم[2] لإكمال النقص الواضح ببرامج الزيتونة وذلك بتنظيم محاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية والفيزياء والكيمياء، يتم فيها تعليم طلبة الزيتونة طرقا ومواد جديدة إسهاما في تكوين الفكر النقدي لديهم وتمكينهم من التفتح على العالم الخارجي[3].

❖ **جمعية قدماء الصادقية:** تأسست جمعية قدماء المدرسة الصادقية في ديسمبر1905م وتألفت من طلبة تلامذة الزيتونة و الصادقية. يقع مقر الجمعية بنهج باب البنات عدد 39 تونس[4] التي تولى رئاستها الأولى خير الله بن مصطفى ومن أبرز أعضائها منهم علي باشا حامبه، عبد الجليل الزاوش ،حسن قلاتي[5].

- **إنشاء المدارس القرآنية العصرية .**

على إثر قيام إدارة التعليم العمومي بإستبعاد غالبية التلاميذ التونسيين المسلمين من المدارس العمومية لأسباب مختلفة بطرق ملتوية دون التصريح بذلك علنا، زد على ذلك أن حملة بعث المؤسسات التعليمية الموجهة إلى التونسيين وغيرهن التي بشر بها لوي ماشويل تحركت

---

[1] – عبد الكريم عزيز :المرجع السابق ،ص 145 .

[2] – محمد الأصرم: ولد في 23 نوفمبر سنة1866م بالقيروان، وتلقى تعليمه في الصادقية والزيتونة وسافر إلى باريس ودرس بها لمدة سنتين وتحصل على شهادة من مدرسة الترشح وسافر إلى باريس ودرس بها لمدة سنتين وتحصل على شهادة الترشح تم عاد إلى تونس وكانت له مشاركة فعالة في النشاط الإجتماعي والثقافي وشارك في حركة الشباب التونسي، ينظر: الصادق الزمرلي، المصدر السابق، ص ص177 – 178 .

[3] – عائشة بن يوسف : المرجع السابق ،ص 34 .

[4] – الطاهر عبد الله : المرجع السابق ، ص 37 .

[5] – عبد الكريم عزيز :المرجع السابق ، ص 121 .

النخب التونسية لمجابهة هذا الوضع على أكثر من صعيد بحثا عن سبل لتوفير أكبر فرص تمدرس لأبناء الأهالي بمختلف الجهات[1] .

فكان وقع التفكير سواء الرجوع إلى الكتاب وتطويرها وإحداث مؤسسات جديدة تراعي سنة التطور وتكون مقبولة في المخيال الإجتماعي ومن ثمة كانت فكرة المدارس القرآنية وتعود أساسا إلى خير الله مصطفى[2] زعيم النخبة التونسية العصرية في نهاية القرن التاسع عشر، كحل لتمكين أعداد متزايدة من الأطفال التونسيين من التعليم إضافة إلى إصلاح المؤسسات التعليمية القائمة(الكتاتيب) وتطويرها [3].

باركت إدارة التعليم العمومي ومديرها ماشويل هذا الطرح وشجعت إنشاء الكتاتيب العصرية وللحد من إنشاء المدارس العمومية، وحظيت هذه المدارس في بادئ الأمر بدعم مزدوج من قبل حزب المعمرين والعديد من الوطنيين وزعماء حركة الشباب التونسي على حد سواء بالنظر على أنها تنشر أفكار الحداثة وتجمد الطرق التعليمية التقليدية .

أما عن دوافع تأسيسها تتمثل فيما يلي :

- نتيجة لحملات الغلق التي طالت الكثير من المدارس فقد عددا من التونسيين الأمل في تعليم عصري لأبنائهم .
- إفلاس إنتاجية الكتاتيب .
- فشل مشروع المدرسة التأديبية (العصفورية) وقصور الكتاتيب عن تلبية طموحات التونسيين قد جعل النخبة أكثر رافضا للمؤسسات التقليدية [4].

وتأسس أول كتاب عصري من قبل خير الله بن مصطفي ديسمبر 1906م وضم قرابة 200 تلميذا وتكفلت إدراة الأوقاف بتوفير أكثره ، ورغم عدم تخصيص نص قانوني خاصة

---

[1] – الجيلاني المحسن: المدارس القرآنية العصرية ومحاولات إصلاح التعليم الزيتوني من خارج الجامع الأعظم (1906 – 1956) ، **مجلة الحوار المتوسطي**، جامعة منوبة ، تونس ، فيفري 2017 م ، ص 158 .

[2] – خير الله مصطفى(1867 – 1964م): ولد بمدينة تونس في 23 سبتمبر 1867م، التحق ضمن أول فوج مدرسي بالصادقية، ودرس بالمدرسة العلوية ثم إنتسب إلى هيئة التدريس بالصادقية ،ويعد من أبرز المثقفين الميدانيين الذين ساهموا في النشاط الثقافي والإصلاحي، في 1906م أنشأ المدرسة العصرية القرآنية ، ألف كتابا في مناهج التعليم، ينظر: عبد الكريم عزيز : المرجع السابق ، ص ص 139 – 140 .

[3] –الجيلاني المحسن : المرجع السابق ، ص 160 .

[4] – الجيلاني المحسن : المرجع السابق ، ص ص 160 – 161.

* ينظر: الملحق: رقم: 08.

بالمدارس القرآنية العصرية وبقيت خاضعة لسلطة ماشويل فقد تطور نسق هذه التجربة فبلغ عددها قبيل الحرب العالمية الأولى 10 مؤسسات مرخص وسرعان ما تعممت في أرجاء البلاد وخاصة بالحاضرة، في سنة 1928م وصلت إلى 14 مؤسسة بمجموع 3189 تلميذا خاصة أن هاته المدارس إشتغلت بإمكانياتها الذاتية بإستثناء بعض الإعانات من قبل جمعية الأوقاف[1].

إقتصرت هذه المدارس على قاعة وحيدة تفرش حصرا وتجمع جل الأطفال المرسمين حول مؤدبهم، وإنتظموا وفقا لجداول أوقات ويدرس كل فصل 30 ساعة أسبوعيا وإعتمدت اللغتين العربية والفرنسية في تدريس المواد [2].

رغم أنها أثارت حفيظة المتشددين من التونسيين أمثال: علي باشا حامبه ومحمد نعمان والشيخ الثعالبي المحسوبين على تيار التقليديين ولقيت القبول من بعض غلاة المعمرين، فقد نجحت في كونها تجربة جديدة في موضوع التعليم في وسط تباينت فيه مختلف الأطراف وكان الهدف الأسمى منها توفير فرص تعليمية للأطفال التونسيين الذين لم يجدوا مكانا لهم.

- **موقف المعمرين .**

لقد إختلف المعمرين الفرنسيين حول مسألة التعليم في تونس وخاصة بأن المسألة بدأت تفرض نفسها أمام المشهد السياسي في نهاية القرن العشرين نظرا لأهميتها الإجتماعية[3]وكما هو معروف أن غلاة المعمرين كانوا ضد سياسة تعليم التونسيين بحجة أن التعليم سرعان ما يولد في أنفسهم المطالبة بالحرية والمساواة مع الفرنسيين، دون تقبلها بحكم للعادات والتقاليد الأوروبية ومن هؤلاء "دي كرينار" وتلميذه " تريدون" اللذان إشتهرا بمعارضة تعليم الأهالي[4].

ومثلما هو الحال فقد تباينت مواقف الفرنسيين من إنتشار المؤسسات التعليمية في البلاد التونسية، فمنهم من كان يمانع تعليم التونسيين وإيصالهم إلى مراتب تعليمية عليا، وإستخدام سياسة التقتير العلمي في المرحلتين الثانوية والعليا، وأن يقتصر التعليم على الفئات التونسية المرتبطة بالفرنسيين فقط، وفي الوقت ذاته كان يرى البعض الآخر منهم بضرورة

---

[1]– الجيلاني المحسن : المرجع السابق ، ص ص 161 – 163 .

[2] – نفسه ، ص 165 .

[3]– محمد بوطيبي: التعليم العصري في تونس.....، المرجع السابق ، ص 180 .

[4] – نفسه : ص 181 .

تعليم التونسيين خاصة التعليم الفرنسي بغية تشكيل قوة ثالثة وتكوين فئة من التونسيين تخدم المصالح الفرنسية، ومن ورائها دعم سياسة الإدماج الفرنسية في البلاد التونسية[1] .

ومما لاشك فيه أن النخبة الصادقية، رغم إزدواجية ثقافتها العربية الفرنسية، والوسط الذي ترعرع فيه الصادقيون، زد على ذلك تعاملهم المباشر مع إدارة الحماية الفرنسية التي رأت الاعتدال في مسارهم لتأثرهم الواضح بالنمط الفرنسي ودعمها لهم، إلى جانب ذلك موقف المعمرين الفرنسيين منهم الذين رحبوا بهم وساندوهم في أهم النقاط، إلا أنها ساهمت بقوة في التصدي للسياسة التعليمية الفرنسية، وفي توعية وتنوير الرأي العام التونسي، وكانوا يقدمون أنفسهم كحلقة وصل بين الدولة الحامية وأهل البلاد المحمية غير أن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا وطنيين.

ثانيا: تأثير السياسة التعليمية الفرنسية على المجتمع التونسي .

1)- طبقات المجتمع

أ- الطبقة المثقفة .

أدت السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس إلى ظهور تناقضات مختلفة الأوجه، مست جل الجوانب خاصة فيما تعلق بالشطر الإجتماعي وبشكل أدق التعليمي منه، وبروز الوعي الوطني.

فقد أمد التعليم الحركة الوطنية التونسية برجالاته الذين حملوا لواء المقاومة في وجه الإستعمار الفرنسي من خلال نخبة طليعة تمثلت في ثنائية الزيتونيون والصادقيين، فالنخبة الزيتونية والتي ترعرعت في الزيتونة وشكلت حركة وطنية سلفية مرجعيتها الأفكار الإصلاحية أمثال محمد عبده[2] وجمال الدين الأفغاني، وحركات التحرر في المشرق العربي والنخبة الصادقية التي تكونت بالمدرسة الصادقية، فأنتجت لنا حركة وطنية متأثرة بالثقافة والحضارة الغربية، مما إنقسمت هذه النخبة الوطنية التونسية من حيث تكوينها العلمي والمحيط التي نشأت فيه إلى تيارين متمايزين هما الإتجاه الزيتوني والإتجاه الصادقي.

---

[1] - محمد بوطيبي : المرجع السابق ، ص 187 .

[2] - محمد عبده: هو عالم دين وفقيه ومجدد إسلامي مصري ولد سنة1849م، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي، ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، ساهم بعد إلتقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية، توفي سنة1905م، ينظر: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج6 ،ص252 .

كانت العلاقة بين أبناء الزيتونة والمدرسة الصادقية في بدايات عهد الحماية الفرنسية تتسم بالتعاون، حيث كانوا حريصين على مد الجسور بينهم، وما الخلدونية إلا خير مثال على ذلك.

التلائم بين النخبتين لم يعمر طويلا وسرعان ما برز التفرق والتقطع بينهما عوض الاتحاد والتآلف على دعائم تبادل المنافع ودرء المفاسد، كان للإدارة الفرنسية عن طريق سياستها التعليمية، نصيب في تأجيج الصراع وإحداث الشرخ بين الطرفين بغرض خدمة مصالحها وأهدافه .

- ✓ **النخبة الزيتونية:** أن الزيتونيين هم في غالبيتهم من أبناء الطبقة الكادحة من التونسيين المنتشرة في المناطق القروية والأحياء الهامشية وقد كانوا يدمجون في المناصب التعليمية والقانونية كالعدول، إنتقدت هذه النخبة فرنسة التعليم برامجا وموادا، وما يتسم به كونه تعليما فئويا، ضيق الإنتشار أساسه التدجين والدمج والاحتواء. لذلك عمدت هذه النخبة إلى دعوة الأهالي[1] للإقبال على العلم، بإعتباره عدوا للإستعمار الذي سعى بسياسته إلى التجهيل.

ما فتئت هذه النخبة تعبر عن رفضها المستمر لسياسة فرنسا المنتهجة في التعليم؛ بحيث جند روافدها للتعبير عن حال التعليم ومدى تأثيرات السياسة التعليمية الفرنسية على النخب المثقفة التونسية وأفكارها وكون النخبة الزيتونية ضلعا منها، ففي مطلع القرن العشرين[2] برزت كغيرها من النخب العلمية الأخرى و أصبحت تتبع الحراك السياسي والإجتماعي ببلاد العالم العربي الإسلامي،وعليه وما يلزم ذلك الحراك من تساؤلات فكرية فالكثير من أبناء الزيتونة ساهموا في نشوء الحركة الإصلاحية التونسية منذ بداياتها،ومنهم دعاة التجديد والإجتهاد، الذين إطلعوا على العلوم الغربية، والذين من أفكارهم إرتوت الجرائد والصحف التونسية، ونشطت الحركة الفكرية العامة من خلال مؤلفاتهم التي طبعت على الساحة الوطنية خلال النصف الأول من القرن العشرين ونذكر منهم:

---

[1] – أحمد سوالم : **النخبة التونسية من خلال التعليم** ، موقع أنفاس نت، www.anfasse.org، تاريخ النشر: 14 أوت 2015م ، تاريخ الزيارة 16 أفريل2022م ،على الساعة 12:51 .

[2] – محمد بوطيبي: التعليم في جامعة الزيتونة ، ص 197 .

محمد الطاهر إبن عاشور،[1] وكتابه "أليس الصبح بقريب"،وكتاب "تونس الشهيدة" لعبد العزيز الثعالبي، وكتاب " إمرأتنا في الشريعة والمجتمع " للطاهر حداد[2].

إكتسح الطلبة الزيتونيين الساحة العامة في وقت مبكر بسبب السياسة الفرنسية والضغوطات والمضايقات المترتبة عنها،التي إضطرت بالطلبة إلى إستخدام الأساليب السياسية والإضرابات ومن أبرز رجالات تلك الطليعة:علي باشا حانبه، عبد الجليل الزاوش، حسن قلاتي[3]، عبد العزيز الثعالبي[4] .

إن السياسة التعليمية الفرنسية في تونس أثرت في النخبة الزيتونية سواءا من قريب أو بعيد، من خلال تلك النتائج المترتبة عنها ، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- في الميدان السياسي فقد قام الوسط الزيتوني بدور هام في التصدي للوضع الإستعماري.
- تشجيع فرنسا للتعليم العصري الذي يولي أهمية بالغة للعلوم دفع بالزيتونيين للمطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني، إعتبارا إن التعليم الزيتوني والزيتونيين أصلا من أصول الروح الوطنية ومظهرا من مظاهر ثورة التونسيين قاطبة في وجه الاستعمار ودحره.
- التضييق على الجامع الأعظم ومحاربة مقومات وركائز المجتمع التونسي، دفع النخبة الزيتونية إلى إنتقاد السلطات الاستعمارية، والدفاع على الموروث الحضاري والثقافي للمجتمع التونسي، والوقوف كحصن منيع أمام أهداف فرنسا، وكان معقل الإحتجاجات والإعتراضات

---

[1] – محمد الطاهر إبن عاشور(1879 – 1973م): شغل مناصب مرموقة في كل من الجامعة 19 الزيتونية والمعهد الصادقي وأيضا عين قاضيا مالكيا وعضو مستشار بالمحكمة العقارية المختلطة قاد حملة الإصلاح الزيتوني وكلف بمهام "شيخ الجامع الأعظم وفروعها ، ينظر :الصادق الزمرلي: المرجع السابق، ص ص361–367، انظر الملحق رقم: 05.

[2] – الطاهر حداد(1899 –1935م) : ولد بتونس سنة 1899م درس بالزيتونة وتحصل على شهادة التطويع ،أطرد سنة 1919م من امتحان شهادة الحقوق لآرائه ومواقفه التي كان البعض يعتبرها البعض مناقضة للإسلام ،انضم للحزب الدستوري التونسي فور تأسيسه سنة1920م ،وساهم في بعث أول حركة عمالية تونسية مستقلة عن النقابات الفرنسية له مؤلفات عديدة منها: كتاب " العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية " وكتاب " امرأتنا في الشريعة والمجتمع ، توفي في 7 ديسمبر 1935 م ، ينظر: السيد الحسيسي، **جامعة الزيتونة بتونس**،www.vBulletin.com،تم نشره 2012/01/03 ، 04:18 ، تاريخ زيارة الموقع 05/11 / 2022 ، على الساعة 12:33 .

[3] – حسن قلاتي: من أصول جزائرية ولد سنة 1880م بقصر البخاري، هاجرت عائلته إلى تونس بعد احتلالها ودرس الحقوق بالجزائر وتحصل على البكالوريا من معهد الحقوق بتولوز سنة 1902م، بعد عودته إلى تونس ساهم في تأسيس حركة الشباب التونسي مع علي باشا حامبه وجريدة التونسي عام 1907 م ، ترأس جمعية الآداب المسرحية ثم الجمعية الخلدونية كان له دورا فعالا في تأسيس الحزب الدستوري التونسي توفي سنة 1966م، ينظر:علي غنابزية : المرجع السابق، ص 4 .

[4] – محمد بوطيبي : المرجع السابق، ص ص 208 – 209 .

بمنزلة خاصة في نفوس المسلمين المساجد والجوامع وعلى الأخص جامع الزيتونة الملئ بالشباب المتحمس لإسلامه وعروبته.

- سعي فرنسا لتجهيل المجتمع التونسي ومنعه من سلاح العلم أخذت روح المقاومة الزيتونية ضدها وجها إجتماعيا تمثل في حث الأهالي على تعليم أبنائهم وتشجيعهم حتى وإن إضطروا لتعليمهم في مدارس خاصة و التخلق بالأخلاق الإسلامية وكان من بين شيوخ الزيتونة من يقوم بهاته الحملات في المدن والقرى وحتى فالمقاهي .
- إن نشاط الطلبة والعلماء الزيتونيين ما لبث أن تطور أكثر فأكثر وذلك بخروجهم من باحة الجامع الأعظم إلى تأطير العمل السياسي والتحرري في جمعيات وأحزاب سياسية والتصدي للمشاريع الإستعمارية خلال هاته الفترة بشكل مباشر ومنظم.

✓ **النخبة الصادقية:** كما عرفنهم سابقا هم خريجي المؤسسة الصادقية والجامعات والمعاهد العليا الفرنسية وينتمون إلى العائلات البورجوازية، فبمجرد تخرجهم يشتغلون في مناصب إدارية، وحكومية كموظفين ومترجمين إلى جانب عملهم في المهن الحرة العصرية وكانت أبواب العمل مفتوحة أمامهم في أجهزة تونس الحديثة[1]،أما إجتماعيا فوضعهم كان ممتازا نسبيا مقارنة مع الزيتونيون وعموم الشعب التونسي بحكم ثقافتهم وتخرج الكثير منهم من فرنسا ذاتها[2].

آمنت هذه النخبة بالنموذج الفرنسي متخذة شعار "المشاركة"، ورددت عبارة "التثقيف بالفرنسية، والتعليم العربية "مما يعكس نظرتها للتعليم من أبرز زعماء هذا الإتجاه باشا حانبه الذي كتب مجموعة من المقالات سنة 1909م بخصوص المدرسة الفرنسية – العربية والتي كان يريدها المدرسة الوحيدة التي يتعلم فيها أبناء تونس، شأنهم شأن الجاليات الأوروبية في ذلك التي تتوفر على مدارسها[3].

تفننت هاته النخبة المتكونة أساسا تكوينا غربيا في نشر الأفكار الإصلاحية والحداثية المستوحاة من الغرب وإتخذوا من الصحافة منبرا لهم لبثها كما برزوا في الميدان السياسي

[1] – محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص 73 .

[2] – حمه الهمامي : المرجع السابق ،ص 41 .

[3]– أحمد سوالم : المرجع السابق ، ص 3 .

بقوة، إلا أنهم أصابهم العقم في الجانب الأدبي والفني على غرار الزيتونيين الذي شاع بريقهم في هذا الميدان[1].

وبذلك أنتجت لنا السياسة التعليمية الفرنسية نخبة جديدة متأثرة بالثقافة الفرنسية، ومتشبعة بالأفكار الغربية الأوروبية، إتخذت من الصحافة وسيلة لها " الصوت التونسي و العمل التونسي"[2]، ومن النضال السياسي سلاحا فتاكا فركبته واقتحمته فتزعمت الحركة الوطنية التونسية والمشهد السياسي .

ب- على الفئة المهمشة .

شملت هذه الفئة ثلة من التونسيين الذين حرموا وإستبعدوا من التعليم ولم ينالوا نصيبهم منه سواء في الكتاب أو المدارس العمومية، وذلك في ظل الأوضاع والظروف المزرية الإقتصادية والإجتماعية بشكل أكبر التي كانت تونس تتخبط فيها زمن الحماية الفرنسية، فقد حرم سكان الأرياف والقرى والمناطق النائية في تونس من التعليم بينما إقتصر على الطبقات البرجوازية وميسورة الحال التي ضمت سكان المدن وكبار ملاك الأراضي، ونتيجة سياسة فرنسا المتعلقة بالشق الثقافي في تونس خاصة منها سياسة التجهيل والتي ذاق ويلاتها المجتمع التونسي فقد إستغلت الفئة المهمشة من هذا المجتمع في عمليات التجنيد الإجباري زمن الحربين العالميتين الأولى والثانية[3]، وتم الزج بهم كيد عاملة رخيصة ومهضومة الحقوق ليس لها حظا في المشاريع الفرنسية الكبرى سوى في الجانب الزراعي أو غيره و إن تم دمجهم في ذلك فهم فيه إما مكرهون أو مخيرون.

وعموما عانت البلاد التونسية من قلة فئة المتعلمين بسبب سياسة فرنسا المنتهجة في حرمان العرب من التعليم وحرصها على بقاء الأمية في صفوف المجتمع التونسي، ليسهل عليها الإحتفاظ بنفوذها[4]، ولربما بسبب هجرة البعض منهم إلى بلدان المشرق العربي أو نفيهم من قبل سلط الحماية .

---

[1] – أحمد القصاب :المرجع السابق ، ص 323 .

[2] – عبد الرحمان جرادي: **الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية الجذور – التداعيات (من سنة 1934 إلى غاية 1957م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في المغرب العربي المعاصر ،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2019/2018م،ص43.

[3] – الهادي التيمومي وآخرون : **المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي** ، ط1 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ، تونس، 1999م ، ص ص 651 – 652 .

[4] – الحبيب ثامر: المصدر السابق،ص 60 .

ج- على المرأة التونسية .

✓من حيث التعليم .

إن المرأة هي حارس العائلة وراعيها الأولى والمحافظة على المجتمع، ورغم كل هذا فلم تتوان سلطات الحماية في تثبيت آمالها نحو تعليم البنات المسلمات بالمدارس الحكومية كوسيلة حتمية التذويب[1]، وكما أشرنا سابقا من أن الاستعمار الفرنسي أولى هذه النقطة إهتماما بليغا للنخر في نسيج المجتمع التونسي وأعماقه، ففي نظرهم إذا إستطاعوا الوصول إلى المرأة سهل كل شيء.

ظلت مسألة تعليم الفتاة التونسية المسلمة والنهوض بتمدرسها حتى مطلع القرن العشرين من أبرز المسائل المسكوت عليها، في مختلف الخطط التي أعدت لإصلاح التعليم بالبلاد التونسية مما جعل الفتاة التونسية تكاد تنحصر فيما يتعلق بالمحيط الأسري لا غير[2]، وقد رأت سلط الحماية في أن تجعل من مدارس البنات أشبه بمعامل صناعية لتخريجهن في أعمال النسيج والإبرة كالزرابي والطرز إضافة ذلك دروس اللغة الفرنسية قراءة وكتابة ومختصرا من التاريخ الفرنسي، وتمكث التونسيات فيها لأكثر من سنة تتعلم وتشتغل الأعمال الصناعية إلى أن تدخلن تدريجيا للمدارس الفرنسية بشكل رسمي[3]وبالتالي دفعها في سبيل المدارس الحكومية، وقد ساعدت تلك المدارس على بروز فكرة تحرير المرأة وظهرت أثار وتجليات هذه الفكرة فيما بعد بحيث مكنت بعض الفتيات من تحسين مواهبهن وقرائحهن وسمحت لهن بالخروج من الإطار المعتاد في المنزل العائلي من القيام بشؤون البيت وتربية الأطفال والإهتمام بالرجل، ومكنتهن من إكتشاف أفاق لم يكن يحلمن بها من قبل وذلك عن طريق الإتصال بالكتب.

ولقد أثارت مسألة تعليم البنات في المدارس الفرنسية جدلا في أواسط المجتمع التونسي بين مؤيد ومعارض لهذه الفكرة، وتواصل الجدل ليؤسس تيارين متعارضين تماما حول قضايا المرأة من تربية وتعليم وخروج للفضاء العام تيار متشدد أو معارض ينعت نفسه " بالمحافظ" وتيار متفتح ومساند لقضايا المرأة " الحداثي" وقد عبر كل منهما عن مواقفه بكل صراحة

---

[1] – عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ،ص 67 .

[2] – الطاهر الحداد :المصدر السابق،ص 224 – 225 .

[3] – عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق ، ص 66 .

وفي العلن دون مخاوف أو إحترازات من خلال المحاضرات والخطب المسجدية والمقالات والمؤلفات المتصلة بالمرأة .

❖**التيار المحافظ** : كان من رموزه الشيخ الوزير أحمد بن أبي الضياف[1] والشيخ البشير النيفروقد ترك بن أبي الضياف أثرا يحمل اسم " رسالة بن أبي الضياف في المرأة " التي حررها في 2 جمادى 1272هـ/13 فيفري 1856م والتي حملت 25 سؤالا وجهه للقنصل العام لفرنسا في تونس وتمحورت أسئلتهم حول أوضاع المرأة المسلمة والأسرة في المجتمعات العربية عموما والمجتمع التونسي خاصة وبشكل أقرب حول المساواة بين المرأة والرجل وتحرر المرأة وتعليمها والتي جاء فيها بعد تحقيق نصها من قبل الأستاذ المنصف الشنوفي بأن "تعليم المرأة يجب أن يكون فيما عدا بعض المواد الدينية والأخلاقية وبعض المعارف في الطبخ والخياطة والحياكة وإن إختلاطها جنب الرجال سوف تكون له عواقب وخيمة" حسب رأيه تم نشر نص الرسالة المحقق كاملا في حوليات الجامعة التونسية سنة 1968م[2] .

❖**التيار الحداثي:** وتزعمه كوكبة من رجال الإصلاح من الوسط الزيتوني أمثال: الشيخ سالم بوحاجب(1827-1924م) ومحمد بيرم الخامس(1840-1889م) وغيرهم من رجالات الزيتونة الذين لم يمانعوا تعليم المرأة وعلى العكس من سابقيهم كانوا يرون من الضروري أن تكون المرأة عارفة بمبادئ القراءة والكتابة لتسهر على شؤون زوجها وبيتها وتربية أبنائها تربية سليمة.

إلا أن السياسة الفرنسية التعليمية نجحت في ذلك بما تعلق بتعليم المرأة ودمجها في الوسط التعليمي الفرنسي خاصة في إستمالة الكثير من العائلات وبشكل كبير العائلات البرجوازية بتونس العاصمة .

---

[1] – أحمد بن أبي الضياف: ولد سنة 1214هـ/1804م وينحدر من قبيلة أولاد عون العتيدة، من أبرز نخبة جامعة الزيتونة تقلد مناصب عديدة و تولى عدة مهمات لدى الباب العالي ، ينظر : الصادق الزمرلي : المصدر السابق ، ص 71 .

[2]– عادل بن يوسف :تعليم البنت في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع الاستقلال، المرجع السابق، ص 3.

أما ماهو أدهى وأمر يتجلى في تشجيع السلطات الفرنسية لظاهرة تواجد دور البغاء[1] ودخول بعض التونسيات المسلمات فيها، إذ صدر أمر بلدي في 6 مارس 1889 م يعتبر هذه الآفة مهنة ويشجع على تسجيلها في البلدية[2].

✓ **من حيث الحجاب والسفور.**

كانت تونس كغيرها من بلاد العالم الإسلامي يلتزم نساؤها الحجاب الشرعي، فيسترن وجوههن عن الأجانب، إلى أن سقطت البلاد بيد الإستعمار الفرنسي الذي شجع دعوات السفور[3]، فإن مسألة الحجاب عامة والخمار خاصة سجلت معتركا فكريا في النصف الأول من القرن العشرين في المجتمع التونسي المحافظ، باعتبار أن الخمار زي مقدس عند بعض العائلات البلدية، ورمز للمرأة المسلمة، كما يعني وضع الخمار على رأس المرأة الشرف في وسط العائلات المحترمة، لأجل ذلك كان من الضروري معرفة لباس المرأة التونسية الذي إعتادت إرتدائه قبل فرض الحماية الفرنسية 1881 وما بعدها، أي قبل أن تتأثر المرأة التونسية باللباس الأوروبي، وقبل أن يخوض المفكرون التونسيون في مسألة الحجاب والسفور والمطالبة بتغييره للزي الأوروبي .

❖ **لباس المرأة التونسية في الحاضرة .**

كانت المرأة التونسية في الحاضرة بإعتبارها أنموذجا للمدن التونسية تلبس في البيت قميصا إلى أعلى الفخذين، وفوقه صدرية تعرف بالفرملة، تكون في العادة مزينة ومؤنقة بأنواع الحرير والفضة والعدس، وفوقها جبة ضيقة نسبيا بدون أكمام مثل القميص، وسراويل ضيقة مثل سراويل الرجال الأوروبيين، تكون مفتوحة في الأسفل مع المغالاة في تحليتها.

---

[1] – دور البغاء: وتسمى أيضا بيوت المتعة، تواجدت هذه الظاهرة في تونس قبل الاحتلال الفرنسي وأثناء فترة تواجده وبعده،وأصبح البغاء في فترة الاحتلال الفرنسي منظما بشكل رسمي عبر إصدار مرسوم في 6 مارس 1889م ،تشغلها عاملات تحترف مهنة الدعارة مقابل اجر مادي وتقسم العاملات فيها وفقا لديانتهن وعرقهن وجنسيتهن، ينظر: ريم بن = = = رجب: **رحلة داخل ماخور عبد الله قش : التاريخ المنسي والحاضر المقموع**، موقع نواةwww.nawaat.org ، 24 مارس 2017م ، تاريخ زيارة الموقع 30 مارس 2022 على الساعة 18:48 .

[2]– حمه الهادي التيمومي : المرجع السابق ،ص 148 .

[3] – السفور :يشير المفهوم الاصطلاحي لكلمة السفور أو سفور المرأة في المعاجم العربية والأجنبية إلى عدة دلالات ومعاني فحسب قاموس Oxford language يدل معنى السفور على كشف الوجه،عدم التحجب،أما في معجم المعاني الجامع فالمقصود بسفور المرأة هو تركها للحجاب والتخلي عنه وخروجها أمام الرجال الأجانب بغيره، ينظر: موقع المعاني لكل رسم معنى منشور عبر الموقع الإلكتروني:https://www.almaany.com ، تاريخ زيارة الموقع 8/03/ 2022م ، على الساعة 11:30.

وتضع على رأسها منديلا أسودا يعرف بالتقريطة، وفوقها قوفية على شكل عراقية و ترتفع عن الجبين بمقدار أصبعين إلى ثمانية أصابع، تكون مطرزة بالحرير الأسود على خيط من الكتان الصلب، وفي مؤخرتها خيط مدلى ومطرز بالحرير والفضة، وتلف المرأة التونسية رقبتها ورأسها بلثام، وتتعصب على كل ذلك بتقريطة مطوية تكون ملونة، وتربط أطرافها من جهة الجبهة على شكل تاج ممسوكة بمساسك صغيرة،ويكون ما فوق قحف الرأس مكشوفا[1]،وكانت المرأة التونسية تترك ذراعيها مكشوفتين، وتضع في رجليها أنواع من الأحذية الإفرنجية أما نساء الأعيان فكن يرتدين جواربا، بينما الخادمات من النساء يضعن إزارا أسودا تحت الحزام يكون مزركشا يغلب عليه اللون الأسود، الذي يكون قادرا على تحمل الأوساخ[2].

لقد كانت المرأة التونسية تظهر بمظهر الزينة المتمثلة في وضع الأساور(المسايس) في معصميها، والخلاخل (المقاييس) في كاحليها ضاربة الأرض برجليها، وتتميز بممشطتها التي تبرز من الحايك (السفساري) الذي يستر جسدها، ولا يمكن التعدي على حرمتها من الغير المسلم، وكانت نساء الأعيان في خروجهن محترمات بحيث يركبن السيارة التي تنقلهن من الدهاليز قرب منازلهن وتكون السيارة في العادة مغطاة بستائر حتى لا ترى المحارم من خلال نوافذها، أما النساء اللواتي تنتمين إلى الطبقة الوسطى فأثناء خروجهن كن يضعن عليهن رداء عريضا في الأسفل، وعلى وجوههن عجارا يغطي الوجه يكون مطرزا ومغروزا في ردائهن، وتصل أطراف هذا العجار إلى أيديهن، حيث يطوى ويوضع داخل الرداء، وعلى ساقيهن تضع الكتان المطرز، ولهن نعال خاصة بالخروج[3].

❖ لباس المرأة التونسية في الأرياف والبوادي .

كانت المرأة أو النساء غالبا في البادية يضعن رداء عريضا يمسك بماسك كبيرة قرب الكتف بالحذو من الصدر بدلا من الجبة،وتتزين المرأة في الريف بشتى أنواع الحلي والأساور والخواتم والتيجان وغير ذلك من المجواهرت المرصعة بالياقوت والزمرد واللؤلؤ ولا تلبس

---

[1]– محمد بيرم الخامس: **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مج1 ،ج 3 ،ط2 ،المطبعة العالمية ،مصر ، 1303هـ، ص137

[2]– نفسه ،ص 137 .

[3]– محمد بوطيبي : المرجع السابق ، ص 96 .

المرأة الريفية السراويل على الإطلاق، أما غطاء رؤوسهن فهو أجمل من نظيرتها في الحاضرة[1].

إن خلع الحجاب للمرأة المسلمة عامة والتونسية خاصة معناه تحرير المرأة، وإشهار للحرب على التعصب والجهالة وأن نشر الأفكار التقدمية والحضارية هو بمثابة صيانة المصالح العليا للأسرة والتراث العائلي وبالتالي إعادة لتركيب المجتمع الإسلامي [2].

لذلك خرجت فئة تطالب بإعتبار السفور والحجاب من الأمور التي يجب إصلاحها كغيرها من الجوانب الاقتصادية والعلمية وذلك بإخراج المرأة السافر الوجه إلى الشوارع بدلا من إنزوائها بين جدران البيوت[3]، وفي خضم هذه الأحداث فقد أحدث كتاب الطاهر الحداد "**إمرأتنا في الشريعة والمجتمع**" الذي صدر في غرة أكتوبر 1930م ضجة واسعة في تونس لم يسبق لها مثيل وشكل جدالا كبيرا بين الطبقة المثقفة التونسية وملأت أعمدة الصحف والمجلات التونسية بشأنه[4]،والذي دعا من خلاله إلى سفور المرأة بشكل واضح ويمكن تصنيف شخصيات فكرية كثيرة في تيار السفور أمثال:

- الطاهر حداد .
- علي الجندوبي .

ومن نتاج السياسة التعليمية على المرأة التونسية :

– أصبحت الفتيات المسلمات اللواتي تربينا على هذه الثقافة الدخيلة معزولات عن عائلاتهن معرضة للخلل الخلقي خصوصا في قراءتهن للروايات الفرنسية التي تسمم عقليتهن في ظل غياب مراقبة الأهل الجاهلين للغة الفرنسية[5].

– تحول البنات إلى التعلق بالجديد والرغبة عن منازلهن التي درجن فيها والنفور مما فيها وحتى ممن فيها أحيانا بما خلق فيهن من مبادئ الثورة على مبادئ مجتمعهن دون أن يعمدن لهضم هذا الجديد وتعرف أوجه صلاحه وفساده وهذا بسبب التعليم في المدارس

---

[1] – محمد بيرم الخامس : المصدر السابق ، ص 137 – 138 .

[2] – عبد العزيز الثعالبي: روح التحرر في القرآن،تر: حمادي الساحلي، مر: محمد المختار السلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1985 ،ص 24 .

[3] – محمد بوطيبي: المرجع السابق ،ص 102 .

[4]– نفسه ،ص 100 .

[5] – عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، المصدر السابق ،ص 67 .

الفرنسية[1]، ومن التونسيات "السافرات" اللواتي تحولن عن مبادئهن السيدة منوبية الورتاني التي خطبت في الجمهور عبر منبر الترقي سنة 1924م مطالبة في جرأة ملحة بضرورة رفع الحجاب عن المرأة التونسية [2]،وبعد مرور خمس سنوات في عام 1929م دخلت معركة الحجاب طورا جديدا إصطبغ بالسياسة ذلك أن امرأة تونسية أخرى تدعى حبيبة المنشاري إتبعت مسار سابقتها منوبية ونددت بالحجاب وبضرورة رفعه في جمهور غفير وخليط من الفرنسيين والتونسيين.

– إنتشار السفور في المجتمع التونسي وهو ظاهرة دخيلة على البلاد نتيجة احتكاك المرأة المسلمة بالمرأة الأوروبية وإختلاط التونسيات بالأجانب كتداعي التقاليد، ويوضح الطاهر حداد في هذا الصدد إلى أن هذا السفور إنما هو تمهيد لسفور أوسع منه فهو الخطر الهائل إذا لم يتم تقنينه وترشيده ،وخطره ليس على الفتاة بل على العائلة والمجتمع التونسي ككل فقد أدى السفور إلى انتشار الفجور لأنه سرب إلينا أخلاق الغربيين والتقليد الأعمى خصوصا لدى الفتيات ولم يؤثر السفور في الجانب الأخلاقي فحسب بل إنه تسبب في تراجع إنتاج بعض العائلات التي تعتمد على النسيج بسبب دخول النسيج الأوروبي الذي أخذ في الإنتشار في البلاد[3].

– بروز معالم الحياة الغربية في الشارع بشكل خاص في تحرر المرأة التونسية في لباسها وخلعها للحجاب وإقتدائها بالأوروبيات[4].

– ظهور التيارات الفكرية والإجتماعية المؤثرة بأفكارها التي تراوحت بين الحداثة والأخذ من الغرب أو المحافظة على المكتسبات الدينية في إطارها التقدمي والرجعي[5].

---

[1]– الطاهر الحداد :المصدر السابق ،ص 225.

[2]– الطاهر المناعي :**المثقفون التونسيون والحضارة الغربية في مابين الحربين العالميتين(1919–1939)**، ط1 ،دار المعارف، سوسة – تونس، 2002م،ص 209 .

* منوبية الورتاني: وهي موظفة وأول تونسية تظهر علنا دون حجاب وفي 15 جانفي 1924م عقدت الجمعية الثقافية" الترقي" وهي جمعية علمانية متفرنسة ندوة بعنوان " مع او ضد الحركة النسوية" فاعتلت منوبية منبر هذه الجمعية كاشفة وجهها داعية المرأة التونسية إلى التحرر من الحجاب ومنتقدة ازدواجية المثقف، ينظر: سليمان بن صالح الخراشي: **بدايات السفور في العالم الإسلامي ... المرأة التونسية** ، على الرابط Alkharashy;http://www.saaid.net.com ،تاريخ زيارة الموقع 2022/03/30م على الساعة 18:48 .

[3] – الطاهر حداد :امرأتنا في الشريعة والمجتمع، ص 122 .

[4] – محمد حملاوي : المرجع السابق، ص 116 .

[5]– محمد بوطيبي:الحجاب والسفور ،ص 103 .

2)- مقومات المجتمع التونسي .

أ- اللغة العربية .

إعتبرت اللغة العربية الرهان الذي تمسك به الشعب التونسي نظرا لما تحمله من قدسية وما إلى ذلك، وضمن هذا الإطار سعى الاحتلال الفرنسي جاهدا للقضاء عليها، لأنهم كانوا على علم بأن وجوده لن يدوم بالقوة العسكرية فقط بل يجب السعي للقضاء على لغة الشعب عن طريق فرنسة التونسيين، فحولت المدارس الوطنية إلى فرنسية بل حتى شكك التونسيين في هويتهم العربية والإدعاء بإنتسابهم إلى البربر[1]، وفي إطار المشاريع الفرنسية ثم التضييق على المدارس الأهلية التي كانت تخرج علماء اللغة العربية والشريعة وأبقى على القليل منها محاولة لجعل تونس خاضعة للفرانكفونية[2].

ومن مظاهر تأثير السياسة التعليمية الفرنسية على اللغة العربية :

- إعتماد اللغة الفرنسية شرطا أساسيا لترسيم الموظفين التونسيين وتقلدهم للمناصب الإدارية[3] .

- فرض اللغة الفرنسية وإجباريتها في الإمتحانات الرسمية ونيل الشهادات العليا تدريجيا وتهميش اللغة العربية .

- القضاء على اللغة العربية بتشييد المدارس والمعاهد الفرنسية والسماح للتونسيين بالولوج فيها وفقا لشروط تفرضها إدارة السلطة الفرنسية، لأجل أن يتكون الطالب التونسي تكوينا فرنسيا محض ويغدو منبهرا بالحضارة الغربية والثقافة الفرنسية وهذا عن طريق تلقيه اللغة الفرنسية وقواعدها أكثر من العربية[4].

- منذ أن أحكم نظام الحماية الفرنسية قبضته على التعليم وإخضاعه لنظمها المعمول بها أقر تعليما إبتدائيا للتونسيين، غرس في نفوس الأطفال الأبرياء إحتقار حضارة أجدادهم وتاريخهم الوطني، إلى جانب حشو أدمغتهم بمعلومات خاطئة، ومزيفة عن كل ما هو

---

[1]- الصادق العماري: أبعاد التعريب في فكر علال الفاسي، **مجلة المستقبل العربي** ، ع67، السنة الخامسة، بيروت ،2001 ، ص 130 .

[2] - جمعة عليوي فرحان خفاجي : المرجع السابق ،ص 226 .

[3] - سالم لبيض:**الحركة الطلابية التونسية النشأة والتأسيس وقضايا الهوية** ، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، 2014/12/17 م،ص 3 .

[4] - جمعية عليوي خفاجي : المرجع السابق،ص 225 .

تونسي، أو عربي إسلامي ومن ثمة تشويه الثقافة العربية التونسية بتشجيع كل ما هو رديء، والوقوف في وجه كل ما هو إيجابي منها[1].

– إعطاء اللغة الفرنسية في التدريس أهمية عظمى تجاوزت بكثير اللغة العربية بتقليص حصص تدريسها في برامج الإدارة الفرنسية والسماح بتدريسها في مدارس خاصة بجعلها مادة إختيارية.

– تأثير الساكنة الأوروبية بتونس زمن الحماية من جاليات فرنسية و أوروبية ويهودية ومالطية وايطالية التي ساهمت في نقل الأفكار والعادات والتقاليد الإجتماعية والمدنية الأوروبية إلى تونس إلى جانب جلب الإرساليات إلى تونس[2].

– دور التعليم الفرنسي الموجه للشعب التونسي بمواده وطرق تدريسه ولغته وكل ما إلى ذلك في إنجاب طبقة نخبوية معجبة بالثقافة الفرنسية ومحتقرة للغة العربية لغة الوطن الأم ومناصرة للتعليم باللغة الفرنسية، إنطلاقا من خلفية أن اللغة العربية غير قادرة على تقديم العلوم الصحيحة[3]من بينهم محمد باشا حانبه.

– أثار برامج ومواد التدريس الفرنسية المطبقة بالمؤسسات التعليمية بتونس واللغة المعتمدة في التعليم على عقول وأخلاق أبناء الأمة التونسية وكيف صيرتهم للتعايش مع الفرنسيين فأصبحوا نتاج سياسة تربوية فرنسية، تدعي مصالحها وأهدافها على حساب الشعب التونسي ووطنيته وهويته فلا مكانة للغة العربية في التعليم من منظور أن اللغة العربية ليست لغة علم[4].

– تطبيق برامج خاصة في التعليم في سياق محو الروح الوطنية بإستئصال اللغة العربية والتضييق عليها، لإخراج أجيال ناشئة عن قوميتهم العربية، وقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم.

---

[1] – عز الدين معزة: المرجع السابق ،ص 74 .

[2] – بوفلجة حماوي: المرجع السابق، ص 119 .

[3] – محمد بوطيبي:التعليم العصري في تونس .....، ص 183 .

[4] – سالم لبيض: **الهوية الإسلام العروبة** ،التونسة، مركز دراسات الوحدة العربية،ط01 ،بَيروت،2009 ،ص 3 .

– إنبهار الفئة المثقفة غربيا بالحضارة الغربية وإنغماسها في الولوع بها في مختلف المجالات بصرف النظر عن كونها حضارة إستعمارية ، فقد تمكنت هذه المدارس الفرنسية بأن تجعل التونسيين يقلدون الأوروبين خاصة من ناحية الجانب الفكري[1].

– العمل على إضفاء الطابع الفرنسي على جل المناهج والبيئات التعليمية وأصبح التعليم باللغة الفرنسية هو الأصل بجانب حضور خجل للعربية في المدارس العمومية[2] .

وأصبح الفرد التونسي يعتبر اللغة الفرنسية درجة من درجات التقدم والرقي وعدم شعوره بالنقص وغدت البلاد التونسية منقسمة إلى جيلان جيل ترعرع في جامع الزيتونة وتربى على أصوله ومتشبث بتراثه وتعاليمه، وجيل أخر مشبع بالثقافة واللغة الفرنسية .

ب– الدين الإسلامي .

حاولت فرنسا منذ اللحظات الأولى من فرض الحماية طمس المقومات الثقافية بإستغلال العامل الديني، واستخدامه بطريقة محكمة للسيطرة على السكان التونسيين الّذين يؤمنون بالمبادئ الإسلامية، وكان يتبع معظم التونسيين المذهب المالكي الّذي يتميز بالتشديد ويرفض الاجتهاد[3].

فكان الدين في مقدمات هذه السياسة حيث حاولت تجريد الشعب من هويته الإسلامية ونذكر منها سياسة التجنيس ولقيت هذه السياسة استجابة عند بعض التونسيين وشملت مختلف الفئات الإجتماعية من حيث الجنس والعمر والوظائف بهدف تحويلهم عن شخصيتهم وهويتهم، ومن ثمة بالتدريج من مواطنين تونسيين إلى مواطنين فرنسيين، ومن العوامل التي ساهمت في رغبة التونسيين في التجنس منها:

– تعلم بعض التونسيين في المدارس الفرنسية وإحتكاكهم بالفرنسيين .

– رغبة البعض في الوصول إلى نفس الرتبة الإجتماعية الفرنسية بدافع كسب بعض الوظائف العمومية.

– التسهيلات القانونية في منح الجنسية للتونسيين من الجانب الفرنسي[4].

---

[1]– بوفلجة حماوي: المرجع السابق ، ص 120 .

[2] – محمد شعبان أيوب: **دولة التنوير تنشر الظلام ... كيف حارب الاحتلال الفرنسي التعليم في تونس؟** https://www.aljazeera.net.com ، تاريخ زيارة الموقع 2022/03/8م على الساعة 18:00 .

[3] – عز الدين معزة : المرجع السابق ، ص 68 .

[4] – محمد بوطيبي: التجنيس في تونس بين القبول والمعارضة خلال فترة الحماية الفرنسية 1881 – 1956 ،**مجلة أبعاد** ،ع 7 ، جامعة وهران 2 ،الجزائر ، 31 ديسمبر 2018 ،ص 215 .

وبلغ عدد المجنسين بتونس في الفترة (1898- 1910 م) حوالي 80 مسلما تونسيا، بينما بلغ 85 مجنسا في الفترة الممتدة ما بين (1911- 1923م) وكان إعلان "قانون التجنيس" سنة 1923 آلذي رغب التونسيين في تعويض جنسيتهم بالجنسية الفرنسية، من المخططات لإتمام حلقة الإلحاق المفروض بالقوة[1]،لكن دوافعه كشفت فقاومها الرأي العام وعدوا المجنسين من أبناء البلاد مرتدين عن الدين فإذا مات لا يدفن في المقابر الإسلامية ولا يصلى عليه، لذلك لما تنجح عملية التجنيس التي خططت لها رغم قوة السلطة[2].

إن التجنيس لم يكن الغرض منه كسب الجنسية فقط،بقدر ما كان يهدف إلى تغيير البنية الإجتماعية للمجتمع التونسي، في إطار مشروع سياسي عام سطرت له السلطة الفرنسية بغية دمج الأمة التونسية في الأمة الفرنسية[3].

- تهميش التعليم العربي الأصيل والتضييق على مؤسساته بالكتاتيب والمساجد الداعم لروابط ومقومات الهوية العربية الإسلامية والسعي إلى إحتوائه وفقا للنمط الفرنسي[4].

- بذلت الإدارة الفرنسية منذ عهد الحماية كل المحاولات لتحطيم القيود التشريعية الإسلامية واستهدافها بدءا من الأوقاف والاحباس والقضاء الإسلامي و خاضعة للسلطة الفرنسية ونظمها شبيهة بالنظم المعمول بها في فرنسا[5].

- منافسة الإسلام باعتباره دين إحسان وبر من قبل رجال الكنيسة عندما أقروا مبدأ الأعمال الخيرية كأسلوب خداع للمسلمين وجلبهم في حظيرة الدين المسيحي انطلاقا من قاعدة رئيسية يؤمنون بها وهي " الإحسان إلى الناس يستعبد قلوبهم "،وكانوا يرددون ضمن هذا الإطار عبارة" نحن نعتني بالعمل الإجتماعية المسيحي لان المسلمين يدعون بأن في الإسلام ما يكفي كل حاجة إجتماعية للبشر في فترة مبكرة أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الروحية المتمثلة

---

[1] – محمد علي داهش : المرجع السابق ،ص 211 .

[2] – جمعة عليوي خفاجي عكار: المرجع السابق ، ص ص 260 – 265 .

[3] – محمد بوطيبي: التجنيس في تونس خلال فترة الحماية ، ص 226 .

[4] – بوفلجة حماوي: المرجع السابق ،ص 124 .

[5] – عبد اللطيف الهرماسي: **المجتمع والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر** ،دراسة مقارنة من منظور علم الإجتماع التاريخي ،ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ،2018 ،ص ص 142 – 143 .

في الخدمات الإجتماعية[1]، خاصة وأنهم يعلمون حاجة الناس إلى تلك المساعدات والإعانات لأنهم كانوا في تلك الفترة يتخبطون في الفقر والبؤس[2].

– السعي لتنصير الشعب التونسي من خلال قيام سلط الحماية بعقد المؤتمر الأفخارستي[3] والذي يعد من الأنشطة الدينية البارزة والمرسومة التي تبناها رجال الكنيسة[4].

– إستفزاز الشعور الديني للتونسيين وتحديه من خلال إقامة تمثال الكاردينال لافيجري في 23 نوفمبر 1925م في مدخل المدينة العتيقة بباب بحر وهو الطريق المؤدية إلى جامع الزيتونة ويبرز التمثال لافيجري* حاملا في يده اليمنى الصليب أما يده اليسرى يمسك بالإنجيل[5].

فالأجنبي عن البلاد بزياته لها بمجرد رؤيته لهذا التمثال يسير في إعتقاده بأن هذا البلاد يتبعون الدين المسيحي لا الإسلامي .

لم يقصر لافيجري[6] في العمل على إنشاء الكنائس والمدارس الكاثوليكية في طول البلاد ومختلف المناطق، وتدعيم هذه المشاريع بأمواله الخاصة لا لغاية سوى جلب أطفال التونسيين إلى حظيرة المسيحية وتعميم نشر هذه الديانة في جموع الشعب التونسي.

---

[1] – مصطفى خالدي: عمر فروخ ، الاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986 ص 191.

[2] – عبد المجيد الشرفي: المرجع السابق ،ص ص 144 – 145 .

[3] – المؤتمر الافخارستي: وهو مؤتمر مسيحي كاثوليكي عقد ما بين 7 و13 ماي سنة 1930م في تونس ، ضم هذا المؤتمر وجوه تونسية تقلدت وظائف دينية وسياسية عالية منهم : محمد بيرم والطاهر ابن عاشور ، محمد شنيق ، اعتبر التونسيون هذا المؤتمر تحديا لمشاعرهم الإسلامية، خاصة وقد وزعت فيه مناشير باللغة العربية تدعو التونسيين لاعتناق المسيحية ، أحمد القصاب: المرجع السابق ، ص 532 .

* ينظر: الملحق رقم :03.

[4] – محمد السعيد عقيب: المؤتمر الافخارستي بقرطاج ماي 1930م وتطور العمل الوطني بتونس، **مجلة البحوث والدراسات**،الجزائر، ع22 ، صيف 2016 ،ص 12 .

* أنظر " الملحق رقم : 04.

[5] – مكتب إستعلامات اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري : **مأساة عرش**، د ط ، د د ن ، د س، ص 236 .

* ينظر: الملحق رقم 04.

[6]– لافيجري: هو الكاردينال أسقف فرنسي ،ولد سنة 1825م بمدينة بايوان شرقي فرنسا، مؤسس المدرسة التنصيرية بالمشرق، وأطلق عليه والد البيض المسحيين ، نشر لواء المسيحية في إفريقيا الشمالية ،إشتهر بحماسته وبعمله لدمج المغرب بفرنسا ،وتوفي سنة 1892.ينظر: الطاهر المناعي : المرجع السابق، ص240 .

3)- المناهج والبرامج التعليمية التونسية .

كانت تونس ذات كيان ثقافي مستقر ضاربة جذوره الأصالة فلم يكن اليسير على الإستعمار أن يمحو هذه الشخصية الثقافية' رغم تعمدها تهديم المدارس والزوايا وحتى المساجد وتقزيم دورها وحافظت اللغة الفرنسية على مكانة متميزة في البرامج التعليمية التونسية[1]؛ ولقد تعددت الأنماط والمستويات التعليمية في تونس زمن الحماية بعضها نتاج إستراتيجية مسطرة وحنكة المؤسسين لإدارة العلوم والمعارف وعلى رأسهم المقيم العام بول كامبون ولوي ماشويل والآخر منها جهود بعض المسؤولين والمعمرين للحد من المنافسة الإجتماعية والثقافية بين الجاليات الأوروبية والتونسيين وإستدراك خطر تعليم التونسيين ومزاولته في المدارس الرسمية.

إن تسارع نسق تطور التعليم الأوروبي في تونس زمن الحماية الفرنسية وتعدد أنماطه ومواده من نمط تعليمي(الخالص)الموجه إلى الأطفال الفرنسيين وأبناء الجاليات الأوروبية(الإيطاليين والمالطيين) إلى جانب اليهود والنمط " المختلط" الموجه إلى أبناء التونسيين كان الغرض منه التغلغل لغويا وثقافيا في الناشئة من أجل إرساء قيم الولاء للدولة الحامية.

وسعت بذلك إلى تكريس التمايز الثقافي والقومي والديني في التعليم عبر الآليات التربوية مما أفرز إلى تصنيف المدارس حسب أصل التلاميذ القومي والديني شديد الوضوح تحمل سماتهم وإنتماءاتهم الدينية تتماشى وفق برامج ومناهج تقوم على إستراتيجية إنتقائية في التدرج التعليمي والمعرفي في نوعية التعليم المخصص لكل فئة وتستجيب لأهداف معينة.

أصبحت الإزدواجية اللغوية والثقافية هي الخيار الرسمي في المنظومة التعليمية لسلط الحماية ولم يفعل المستعمر سوى شحن هذه النعرات القومية والفرقة وهذا عائد بالأساس إلى تحولات المجتمع التونسي في تلك الحقبة[2] .

---

[1] – حمادي معمري: **اللغة الفرنسية في تونس اختيار أم تركة أم حتمية تاريخية** ،اندبندنت عربية TV تم نشره يوم الاثنين 27 يوليو 2020 ، 15:17 ،تاريخ زيارة الموقع 25 أفريل 2022م ، 12:35 .

[2]– مصطفى بن تمسك: **التعليم في تونس من التعدد إلى التوحيد**، موقع العربية ليدرز www.ar.leaders.com ، تاريخ زيارة الموقع 27 أفريل 2022م ، على الساعة 13:29 .

بينما حققت إستراتيجية الإنتقاء المعرفي رهاناتها بدءا بتكريس قيم التمييز العنصري على خلفيات التلاميذ وأصولهم وديانتهم، وعلاوة على ذلك نجد أن المستعمر إنتهج تمييزا داخليا بين التونسيين أنفسهم إذ سمحت لبعض الأهالي الموالين للحماية والمقربين من الطبقة الأوروبية بضم أبنائهم لصفوف التعليم الفرنسي المحض وبقيت الغالبية الساحقة من أبناء الشعب حبيسة أنماط تعليمية تقليدية محدودة الآفاق .

وبذلك ضمنت فرنسا من وراء هذه السياسة ليس فقط تعميق التفاوت بينهم بحسب إنتماءاتهم بل إلى تمزيق الوحدة الوطنية بين التونسيين من أجل إحكام السيطرة على أرواحهم وعقولهم ومن ثمة تحقيق انتقاء من خلال هاته المناهج التعليمية التربوية الموجهة .

فمنذ أن أحكم ماشويل قبضته على التعليم في تونس نصب لمساره وضع برامج ومواد تعليمية مماثلة للبرامج التعليمية بفرنسا بدءا بالمعهد الصادقي الذي سطر له برنامج يتماشى مع المناهج والبرامج الفرنسية ملغيا بذلك تعليم اللغات الإيطالية والتركية وفاسحا المجال واسعا للغة الفرنسية[1].

ومن أثار نظام الحماية على المناهج التعليمية هو أن المناهج التربوية مع إختلاف أنماطها حسب النمط التعليمي المعتمد أكان حرا أو مهنيا أو رسمي وتوجهه تبعا للسياسة المتبعة لتحقيق مراميها والأهداف المسطرة تربويا.

- شمولية هذه المدارس في مناهجها حتى فيما يوفر حفظ المدرسة من الصحة والأمن العام.
- إنتهاج تدريس المواد الفكرية مثل: دقة القياس، القراءة ، المحاسبة .
- أنها عمدت على أن تجعل مدة الدراسة في التعليم الابتدائي طويلة إذ يتعذر على التلاميذ الإلتحاق بالثانوي، مما ساهم في حرمان أبناء تونس من التعليم وتكريس الأمية فيهم، للحفاظ على نفوذها، مما أسفر عجزا في التمدرس في صفوف المسلمين ولم يسعف الحظ إلا القليل من الأسر المسلمة ممن استطاعوا أن يكابروا مع هذه البرامج واضطروا لاستكمال تعليمهم خارج تونس[2] .
- تقويض الشخصية التونسية من خلال تهديم معالم الثقافة المحلية في المدن الكبرى.

---

[1]– محمد بن خوجة : المصدر السابق ،ص 319.

[2]– الحبيب ثامر: المصدر السابق، ص ص 58 – 60 .

- تكريس الهيمنة التعليمية الفرنسية وهذا بإحلال كل ما يتعلق بالنمط التعليمي الفرنسي من لغة ومواد وبرامج ومؤطرين ومسيرين وأساتذة وحذف ما له صلة بالعربية وما نحوها.

خلاصة الفصل.

وقصارى القول نستنتج أن الشعب التونسي أنطلق تلقائيا في مقاومة الإحتلال الفرنسي منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه جيوشه أرض الوطن بدافع وطني ديني لمحاربة النصارى الذي سيسلبونه حريته وقد يدنسون مقدساته الإسلامية، ولقد كان لجامع الزيتونة دورا لا يمكن إغفاله في تكوين النخبة التونسية وفي تخريج العديد من العلماء والشيوخ الذين ساهموا مساهمة فعالة، كما زودت النخبة الزيتونية والصادقية على حد سوى الحركة الوطنية وكذا رجال النهضة الإصلاحية بتلاميذها وبعلمها وثقافتها، إن الهوية اللغوية والدينية والحضارية للتونسيين إستهدفت خلال فترة الحماية في إطار سلخهم عن تاريخهم ولغتهم وثقافتهم وبالتالي هويتهم في إطار سياسة إخضاع النفوس بعد أن تم إخضاع الأبدان، والسعي لإخراج المرأة التونسية من ثوبها العربي الإسلامي إلا أنه في مقابل ذلك شكلت الزيتونة معاقل لمقاومة سياسة الهيمنة الفرنسية حيث كانت ملاذا لعلوم الدين ومعقلا حصينا للغة العربية والتي إحتفظت في أروقتها بحيويتها وقوتها مما مكنها من مغالبة الغزاة، إن التعليم زمن الحماية الفرنسية رغم تشرذمه وتقطع أوصاله وآفاقه المتواضعة بالنسبة إلى أبناء التونسيين كان إحدى حلقات الصراع على الهيمنة سواء على العقول أو على المناصب القيادية في المجتمع ،إن ما أفرزته السياسة التعليمية الفرنسية في ظل نظام الحماية تجلت مظاهره إلى ما بعد الاستقلال، واستمرت آثاره إلى يومنا هذا، وهو تباين طبقات المجتمع في توجهاتها الفكرية وإختلاف درجة تمسكها بثوابت الأمة التونسية.

الخـــاتـــمـــة

ومن خلال دراستنا لموضوع السياسة التعليمية الفرنسية في تونس وتأثيراتها على المجتمع التونسي من 1881 إلى غاية 1930م خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات التالية:

– عرفت الحياة الثقافية العلمية منها في تونس قبل فرض الحماية الفرنسية إنتعاشا وواقع مزدهر شكل التعليم التقليدي(العربي الإسلامي الحر) أبرز محاوره ضمن مؤسساته الرائدة آنذاك المساجد والكتاتيب والزوايا.

– إن محاولات الإصلاح التي عرفها التعليم الزيتوني كانت في مجملها رامية إلى إدخال مواد تعليمية حديثة إلى جانب التعليم التقليدي الأصيل.

– إن الهدف الرئيسي الذي كانت فرنسا ترمي إليه من خلال سياستها التعليمية هو تحطيم اللغة العربية وتغريب المجتمع التونسي المسلم وهذا لفرضها العديد من المشاريع الإستعمارية التعليمية المتعددة.

– من أجل بسط سيطرتها وتوسيع نفوذها قادت تخلف العديد من الهيئات المساعدة ضمن سياستها الغربية وتقويض الهوية الإسلامية ومنها: إدارة العلوم والمعارف.

– بعد تركز فرنسا في ربوع الإيالة التونسية ظهر التعليم الرسمي وكذا التعليم المهني الذي يهدف إلى إنتاج طبقة عمالية في المجال الإجتماعي إما بالقوة أو الإختيار، خاصة بين أبناء الأرياف والمناطق النائية، كما ظهر كذلك تعليم الفتاة المسلمة الساعي إلى دفعها نحو التعليم وخروجها من بوتقة الواقع المنزلي المعتادة عليه.

– لقد مثل الجانب الثقافي إحدى تجليات النفوذ التي مارستها سلطات الحماية الفرنسية بتونس وترك بصمات واضحة على البنية الثقافية في تونس، كما أن الجهود المقننة التي بذلها الاستعمار عن طريق سياسة التعليم كانت أقوى وأشد خطرا على الثقافة العربية والدين الإسلامي، إذ نشأت أجيال جاهلة بكل ما يعنيه الإسلام والدين وبكل أسرار اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية فقد شكل النسيج الاجتماعي العمق الذي نخرت فيه الحماية الفرنسية لإحكام الهيمنة ونجحت في أن تجعل من اللغة الفرنسية رمزا للمعاصرة والتحضر .

– إن تنوع المؤسسات خلال الفترة الإستعمارية ما هو إلا تعبيرا عن تنوع المجتمع وتعدد قومياته المتعايشة، فمنذ الإحتلال الفرنسي لتونس 1881م رتبت سلطة الحماية نظاما تعليميا في البلاد التونسية وقامت ببناء مؤسسات تعليمية مختلفة ظاهريا تسعى لضم أبناء التونسيين ومنحهم التعليم المناسب لهم، لكن في الواقع مغايرة تماما فتعدد الأنماط التعليمية كشفت عن عدم تكافؤ الأصناف التعليمية والصراع القائم بين هذه القوميات فالهدف المنشود

من هذه المؤسسات هو الرقي بالنظام التعليمي على شاكلة المعاهد الأوروبية ولمسايرة مظاهر الحداثة الغربية وجعل التونسيين مواطنين فرنسيين.

– ساهم تواجد الجاليات الأوروبية المختلفة من يهود وإيطاليين ومالطيين وإنجليز وغيرهم بالبلاد التونسية على بروز مدارس تعليمية خاصة بهم ينتظمون بها وفقا قومياتهم وتوفر لهم تعليما على شكل التعليم المتواجد بالوطن الأم.

– لقد كشفت السياسة الفرنسية الاستعمارية عن خبايا نواياها وطبيعتها الاستحواذية والحيف والظلم الذي تعرض له الشعب التونسي طيلة زمن الحماية الذي حاول تجريد الشعب من كل مقوماته.

– مما لاشك فيه أن رجال الإصلاح والمثقفين الزيتونيون والصادقيون شطرا النخبة المثقفة رغم أنهم كانوا يختلفون فيما بينهم في أي تعليم يجب أن يتلقاه أبناء التونسيين ولكنهم كانوا جميعا متفقين على الضرورة الملحة لنشر التعليم بين جموع أبناء التونسيين في كل مكان.

– لقد بدأت بعض الظواهر الإجتماعية والسلوكيات المعاصرة تطبع لباس المرأة التونسية بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس 1881م، بإطراد عوامل كثيرة منها إحتكاك المرأة التونسية بالمرأة الأوروبية وبروز أفكار المدنية الأوروبية إلى جانب ذلك التيارات الفكرية الإجتماعية المتباينة بالبلاد في سفور المرأة التونسية وولوعها باللباس الغربي الأوروبي والذي ما زالت آثاره لحد الآن، وقد أيغل الحداثيون في إعطاء المرأة حريتها وحقوقها المدنية بعد الإستقلال1956م، والذي يتنافى أحيانا مع الجانب الشرعي، من خلال إخراجها من ثوبها العربي الإسلامي، فإنتصر أنصار السفور على أنصار الحجاب الشرعي، وما تزال المعركة قائمة إلى يومنا هذا.

– إن الصراع بين التقليد والتجديد بين النخبة التونسية(الزيتونيين والصادقيين) كان محوره الأساسي المحافظة والحداثة قد طغى بشكل كبيرا في المشهد التونسي إبان الحماية وبعد الإستقلال وتجلى في تصفية الفريق الأول من الحكم وتولي مقاليد السلطة في إطار النهج العربي الإسلامي أو العلماني الحداثي خاصة ببروز شخصية بورقيبة وتوليه سدة الحكم.

ملاحق

الملحق رقم : 01 : جامع الزيتونة[1] .

[1]– أحمد القصاب : المرجع السابق ، ص 336 .

الملحق رقم : 02 : المدرسة الصادقية[1] .

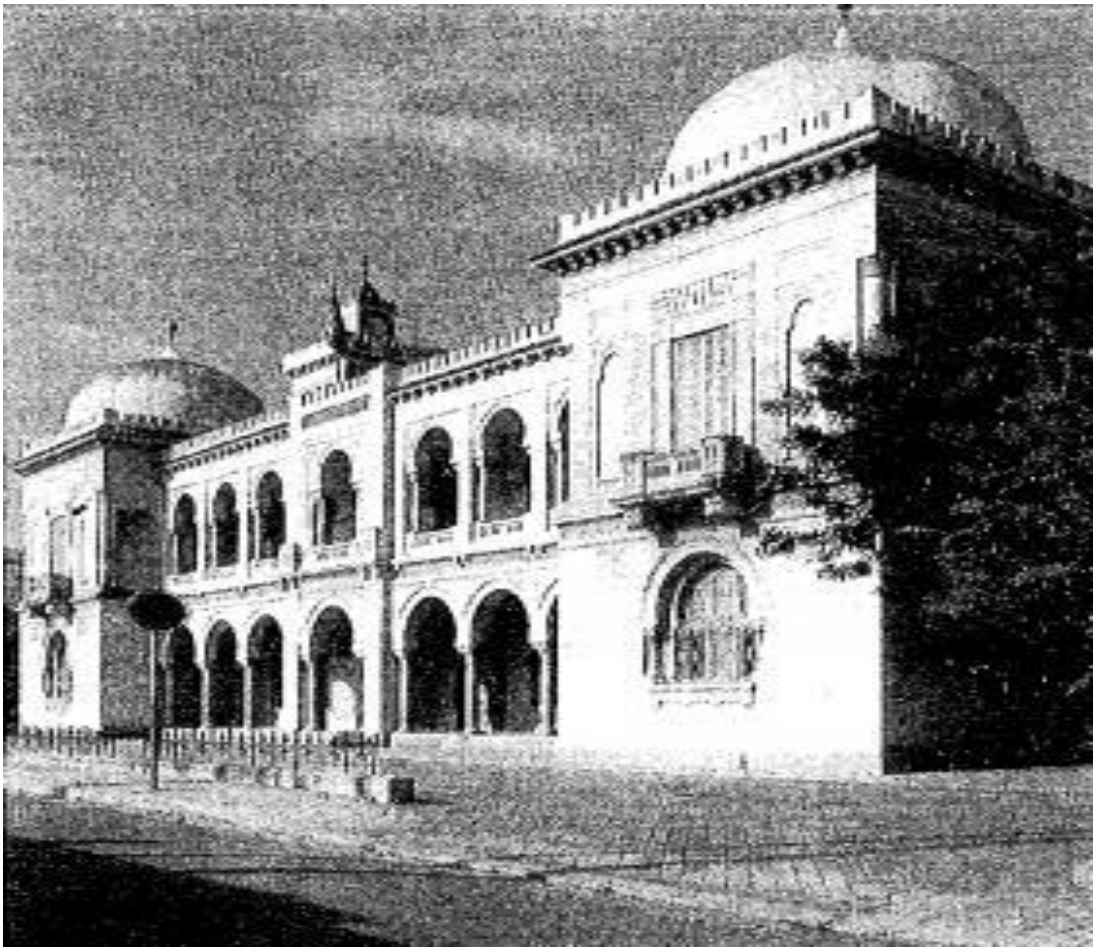

[1]– عزيز عبد الكريم : المرجع السابق، ص 42.

الملحق رقم : 03 : المؤتمر الأفخارستي[1] .

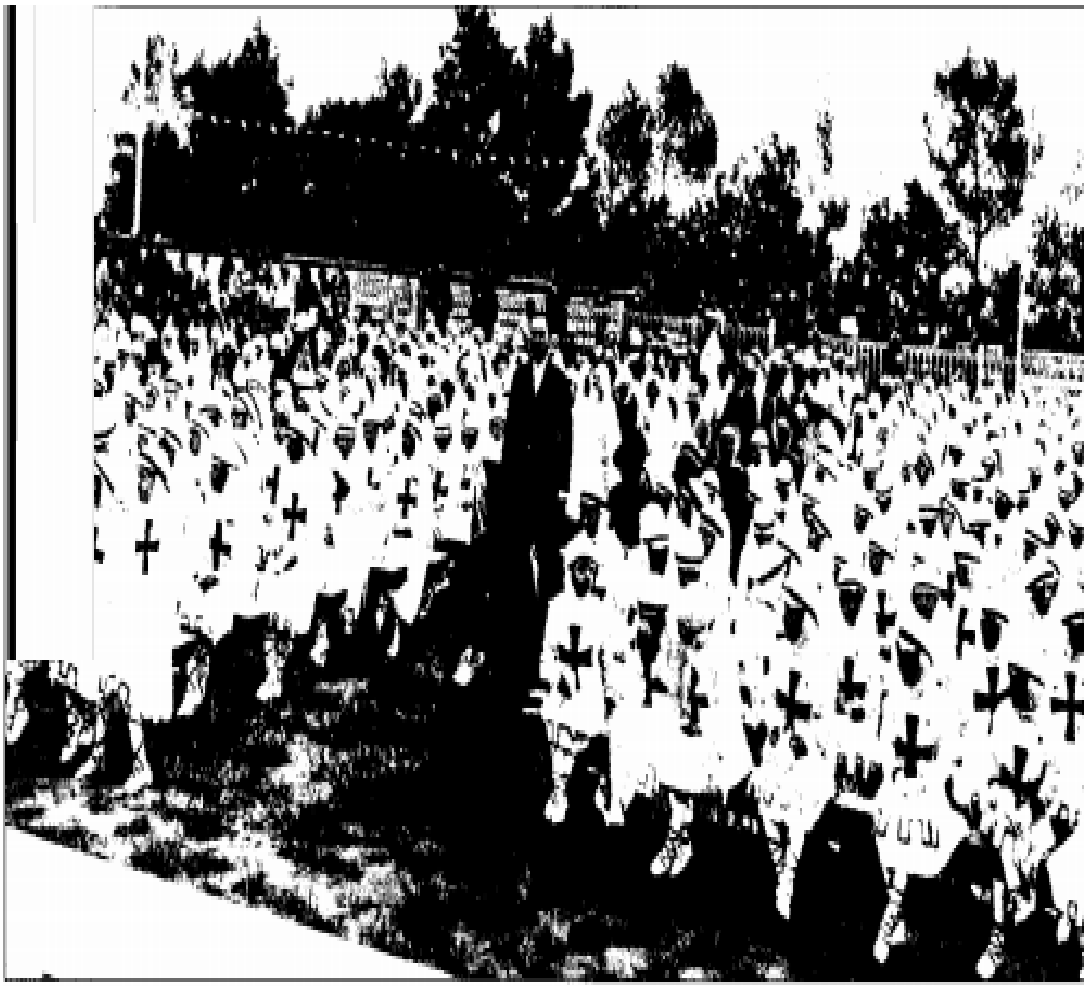

اجتماع الوفود المشاركة في المؤتمر الأفخارستي و هي حاملة أزياء مثيرة للشعور الديني للتونسيين

[1] – خليفة الشاطر وآخرون،: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، ج 3، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 2005م، ص 95 .

الملحق رقم : 04 : تمثال الكاردينال لافيجري في تونس[1] .

[1] – خليفة الشاطر: المرجع السابق، ص 92 .

الملحق رقم : 05: الطاهر إبن عاشور[1] .

[1] – المختار بن احمد عمار: محمد الفاصل ابن عاشور، حياته واثره الفكري، الدار التونسية للنشر، تونس، ماي 1985، ص 30.

الملحق رقم: 06: قادة النخبة التونسية [1]

عبد العزيز الثعالبي

(1944 - 1874)

علي باش حانبة

(1918 - 1876)

[1] عزيز عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 119-143.

الملحق رقم: 07: سياسيين فرنسيين[1]

M. RENE MILLET
1894 - 1900

M. STEPHEN PICHON
1901 - 1906

M. GABRIEL ALAPETITE
1906 - 1918

M. LUCIEN SAINT
1920 - 1929

[1] عزيز عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 52-53.

الملحق: رقم: 08: نموذج للدروس في المدارس القرآنية العصرية[1] .

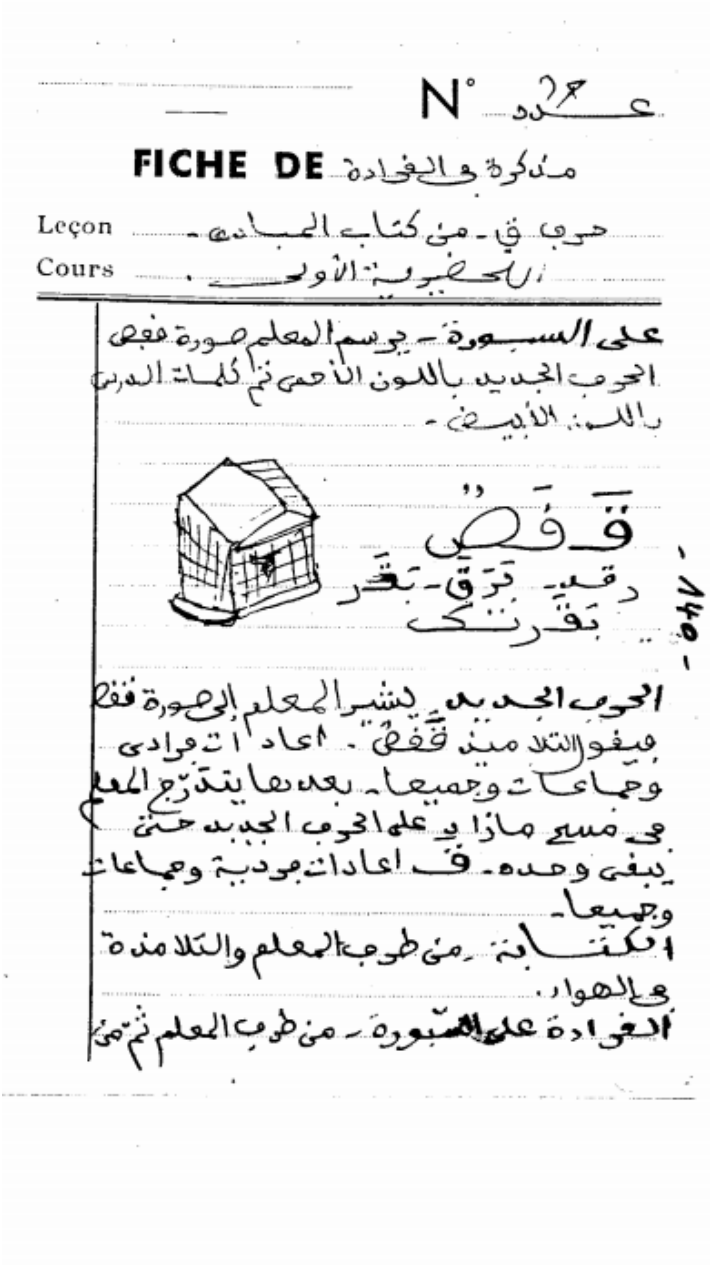

N° عدد

FICHE DE مذكرة و افادة

Leçon حرف ق - من كتاب المبادئ -

Cours الحصة الأولى .

على السبورة - يرسم المعلم صورة قفص الحرف الجديد باللون الأحمر ثم كلمات الدرس باللون الأبيض -

قَفَصٌ
دقيق - ترقوق - بقر
بقرتك

- 140 -

الحرف الجديد يشير المعلم إلى صورة قفص فيقول التلاميذ قفص - اعادات فرادى وجماعات وجميعا - بعدها يتدرج المعلم في مسح ما زال على الحرف الجديد حتى يبقى وحده - ف اعادات فردية وجماعات وجميعا -

الكتابة - من طرف المعلم والتلاميذ في الهواء -

القراءة على السبورة - من طرف المعلم ثم من

[1] عائشة بن يوسف، المرجع السابق، ص 141.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر .**

1- بن أبي الضياف أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ب ط، مج2 ،ج4 ،الدار العربية للكتاب، تونس.

2- (_____،_____):إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ب ط، مج2 ،ج5 ،الدار العربية للكتاب، تونس، ب ن.

3- بيرم محمد الخامس: صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المجلد1، ج 3، ط2، المطبعة العالمية ،مصر ، 1303ه .

4- بن خوجة محمد: صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، الجيلالي بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامية، لبنان، 1986 .

5- ثامر الحبيب: هذه تونس ،ب ط، مكتب المغرب العربي (تاريخ المغرب)، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948.

6- الثعالبي عبد العزيز: تر وتق، سامي الجندي، دار القدس، ط 1، لبنان، ماي 1975.

7- (_____،_____): روح التحرر في القراءن، تر ومر: حمادي الساحلي، محمد المختار السلامي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

8- حداد الطاهر: إمرأتنا في الشريعة والمجتمع، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.

9- حسن محمد الأخضر: تونس وجامع الزيتونة، تر وتح: علي الرضا، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس،1971.

10- إبن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ، 1983م .

11- الزمرلي الصادق: أعلام تونسيون، تق وتع: الساحلي حمادي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

12- إبن عاشور محمد الطاهر: أليس الصبح بقريب (التعليم العربي الإسلامي)، دراسة تاريخية أراء إصلاحية ، دار سحنون للنشر والتوزيع،تونس ،2006 .

13- عبد الوهاب حسن حسني: شهيرات التونسيات، بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمان الحاضر، المطبعة التونسية، 1353 هـ.
14- (_____،_____): خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتاب العربية الشرقية، تونس.
15- المحجوبي علي: ما يجب أن نعرفه عن إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تر: عمر بن ضو وآخرون، ب- ط، سراس للنشر، تونس، 1986.
16- (_____،_____): الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، مج 2، 1986.
17- محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1994.

- **المراجع .**

أولا: المراجع باللغة العربية .

1- أمين سمير: المغرب العربي الحديث، ت: كميل داغر، دار الحداثة، بيروت ،1980.
بن يوسف عادل: النخبة العصرية التونسية (طلبة الجامعات الفرنسية)، دار الميزان، تونس، 2006م.
2- بن بلغيث الشيباني: فصول في تاريخ الأوقاف في تونس، مكتبة علاء الدين، 2004.
3- (_____،_____): الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859- 1882)، تق: عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، تونس، 1995م.
4- (_____، _____): أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر، ط1، مكتبة علاء، صفاقس - تونس، 2008م.
5- بن مامي محمد الباجي: جامع الزيتونة أهم معالم مدينة تونس الأثرية والتاريخية، المعهد الوطني للتراث، تونس.
6- بيضون وآخرون: تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، د ب، 1991.
7- بوالخضرة مسعودة مسعود: الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1995.

8- التيمومي الهادي وآخرون: المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 1999م .
9- الجابري محمد: التعليم في المغرب العربي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
10- الجمل عطا الله شوقي: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر والمغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1، القاهرة، 1977.
11- خليفة الشاطر وآخرون،: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، ج 3، مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والإجتماعية، تونس، 2005م .
12- داهش محمد علي: دراسات في الحركات التحرر الوطنية والإتجاهات الوحدوية في المغرب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004.

13- الزيدي علي: الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية من 1940 إلى 1945، مكتبة علاء الدين، ط 1، صفاقس، مارس 2007 .
14- الزركلي خير الدين: الأعلام، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 2002م
15- (_____،_____): الأعلام، ج2، ط1، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 2002.
16- (___،_____): الأعلام، ج 5، ط1، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 2002.
17- (___،_____): الأعلام، ج6 ، ط1، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 2002.
18- الساحلي حمادي فصول في التاريخ والحضارة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992 م.
19- شاكر محمود: التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر بلاد المغرب، ط 2، ج 18، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996.
20- شترة خير الدين: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900 – 1956)، ط 2، ج1، دار كردادة، الجزائر، 2013 .
21- (_____،_____): الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة 1900- 1956، الروابط الحضرية بين القطرين وأثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009 .

22- (_____،_____): إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900 – 1939، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2013.
23- ضيف الله محمد: الحركة الطالبية (1927 – 1939م)، تق: التميمي عبد الجليل، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس ،1999.
24- عزيز عبد الكريم: نضال شعب أبي تونس 1881 – 1956، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.
25- عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990م .
26- عبد المولى محمود: مدرسة باردو الحربية، دراسة وتحقيق، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس،1397هـ/1977م.
27- العياشي مختار: الزيتونة والزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر 1983-1958، مركز النشر الجامعي للجامعة التونسية، تونس.
28- العجيلي التليلي: الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939)، مج 2 ، منشورات كلية الآداب، جامعة تونس 1 – منوبة، 1992 .
29- الغابري عبد الباسط: المؤسسة الزيتونية والإصلاح، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2015م.
30- فاسي مصطفى: البطل في القصة التونسية حتى الإستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
31- القصاب أحمد: تاريخ تونس المعاصر 1881- 1956، ط1، تح: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1986.
32- قدورة زاهية: تاريخ العرب الحديث، ب- ط، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 1985م.
33- إبن قفصية عمر: أضواء على تاريخ الصحافة التونسية 1860- 1970، دار أبو سلامة للطباعة والنشر، تونس،1972.لبيض سالم: الهوية الإسلام العروبة، التونسة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بَيروت، 2009 .
34- اللولب محمد حسين: أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013 .

35- المختار بن احمد عمار: محمد الفاصل ابن عاشور، حياته واثره الفكري، الدار التونسية للنشر، تونس، ماي 1985.
36- مصطفى خالدي، عمر فروخ: الاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
37- مكتب إستعلامات اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري، مأساة عرش، د ط، د د ن، د س.
38- المناعي الطاهر: المثقفون التونسيون والحضارة الغربية في ما بين الحربين العالميتين (1919- 1939)، ط 1، دار المعارف، سوسة، تونس، 2002م.
39- الهرماسي عبد اللطيف: المجتمع والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2018.
40- الهمامي حمه: المجتمع التونسي، دراسة إقتصادية إجتماعية، صامد للنشر والتوزيع، ط 1، صفاقس – تونس، جوان 1989.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية .

Ganiage Jean, (Mahjoubi Ali) : **L'Établissement du protectorat français en Tunisie**. In: Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 65, n°238, 1er trimestre 1978. pp. 118-119, https:// www.persee.fr/doc/outre_ 0300_9513_1978_num_65_238_4732 , Fichier pdf généré le 06/01/2019,date de visite: 09/04/2022, le temps:12:21 .

Sraieb Noureddine: **l'idéologie de l'école en Tunisie coloniale (1881 – 1945)**,Revue du monde musulman et de la Méditerranée ,N° 68- 69, 1993,Etats modernes ,nationalismes et islamismes. pp 239 – 254 ,https:// www.parsee.fr/doc/remmm_0997_1327_1993_num_68_1_2570, généré le 22/04/ 2018 .visite le 10/05/2022. Le temps: 19:30 .

- **الرسائل الجامعية .**

1- بن يوسف عائشة: المؤسسات الدينية والعلمية بتونس ودورها في مواجهة السياسة الدينية والثقافية 1881 – 1956م،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر، إشراف: زقب عثمان، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ،جامعة الشهيد حمه لخضر ،الوادي، 2018-2019.

2- جرادي عبد الرحمان: الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية الجذور – التداعيات (من سنة 1934 إلى غاية 1957م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في المغرب العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2019/2018م .

3- حماوي بوفلجة، محمد عبلاوي: تأثير نظام الحماية الفرنسية على التعليم في تونس 1881-1956م،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، إشراف: مرغيث محمد، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية،أدرار ،2019-2020.

4- خلايفة عبد المالك، غمام عمارة الطيب: دور الحركة الثقافية بتونس في عملية التحرير الوطني 1900- 1956م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف: رشيد قسيبة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016-2017.

5- شبيكة فتيحة: السياسة الفرنسية في تونس وأثارها الاجتماعية(1881 – 1920م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في تاريخ الوطن العربي المعاصر، ا إشراف: مرزقلال إبراهيم، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م.

6- قدور محمد: السياسة التعليمية الفرنسية في تونس 1883 – 1939، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: حباسي شاوش، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003 – 2004 م.

7- غانمي ريم: الحضور المسيحي بتونس من 1881 إلى 1930، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الجويلي، نصر، المعهد الأعلى لأصول الدين ،جامعة تونس، 2004-2005 م.

8- معراج عازب عثمان: الإصلاحات بجامع الزيتونة وردود أفعال الطلبة منها 1842-1938م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، تاريخ المغرب العربي المعاصر، إشراف: بن موسى موسى، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2019/2018 .

9- مناصرية يوسف: الحزب الحر الدستوري القديم 1919 – 1934، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: سعد الله أبو القاسم، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1985- 1986.

10- معزة عز الدين: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م/2000م، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بوصفصاف عبد الكريم، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2009 – 2010 م .

11- نويري وسام: دور الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم بتونس(1879 – 1973م)م،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ العالم المعاصر،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة محمد بوضياف ،المسيلة ،2015-2016م.

12- قسيمة نور الهدى: الحماية الفرنسية على تونس وردود الفعل الأولية (1881 – 1883م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي ، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف: مصطفى عبيد، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2017 -2018 م

- **المجلات والجرائد .**

أولا: المجلات.

1- أحمد سوالم: إصلاح التعليم بتونس خلال القرن التاسع عشر ،مج2 ،العدد 04 ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة إبن طفيل، القنيطرة، المغرب، ديسمبر 2020 .

2- البزاز سعيد توفيق عزيز: الحراك السياسي لطلبة جامعة الزيتونة في مواجهة الإحتلال الفرنسي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج 14، ع 2، كلية الموصل – كلية الآداب ، 2019م .

3- بوطيبي محمد: التعليم العصري في تونس بين الواقع والطموح خلال النصف الأول من القرن العشرين،أفكار وآفاق،م 7، العدد 2 ، جامعة المدية، 2019م .

4- (___،___): التعليم في جامعة الزيتونة خلال النصف الأول من القرن العشرين، (دراسة في المناهج والبرامج)،المجلة المغاربية للمخطوطات ، ع5 ،جوان 2017.

5- (___،___): مسألة الحجاب والسفور في تونس خلال الثلث الأول من القرن العشرين،مجلة القرطاس للدراسات التاريخية والحضارية والفكرية،مج السادس،ع 12،جويلية 2019م.

6- (___،___)، التجنيس في تونس بين القبول والمعارضة خلال فترة الحماية الفرنسية 1881 – 1956 ،مجلة أبعاد ،العدد 7 ، جامعة وهران 2 ،الجزائر ، 31 ديسمبر 2018 .

7- بوحبيل الحسين: المدرسة الفرنسية- العربية للذكور بجرجيس(الجنوب التونسي) 1887 – 1955 م،التعليم والتدريب المهني والإرتقاء الإجتماعي، المعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنين ،مجلة مدارات تاريخية – دورية دولية محكمة ربع سنوية، مج الأول ،ع الأول ،مارس 2019 ،جامعة قابس – تونس.

8- التميمي عبد الجليل: دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس(1830 – 1881)، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الإتحاد العام التونسي ،العدد 3، يناير1975 ، تونس .

9- الجندوبي علي: سير الحركة العلمية والثقافية بتونس، مجلة البصائر"، الجزائر، العدد 294 ،1954-1955م.

10- زراري شمس الدين، بن زروال جمعة: نشاط طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية من 1881 إلى غاية 1956،مجلة الإحياء،مج 20 ،ع 27 ،نوفمبر 2020.شرفي

11- عبد المجيد: الحركة التبشيرية في تونس في القرن التاسع عشر،حوليات الجامعة التونسية،ع الثامن،تونس، 1971.

12- العماري الصادق : أبعاد التعريب في فكر علال الفاسي، مجلة المستقبل العربي ، ع67، السنة الخامسة، بيروت ،2001 .

13- الغابري عبد الباسط : الزيتونيون والوعي بقيمة الثقافة في تحقيق الإستقلال الكامل، مجلة الحوار المتوسطي،جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس مخبر البحوث و الدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد 15-16 ، مارس 2017م .

14- عقيب محمد السعيد: المؤتمر الأفخارستي بقرطاج ماي 1930م وتطور العمل الوطني بتونس، مجلة البحوث والدراسات ،الجزائر، عدد 22 ، صيف 2016 .

15- عليوي فرحان الخفاجي جمعة ،هادي عكار عظيم وسام: السياسة الفرنسية حيال تونس(1881 -1914)،مجلة الأستاذ،ع 214 ، مج الأول، سنة 2015م/1436هـ.

16- غنابزية علي ،هاشم كوثر: جذور مبدأ الإستقلال لدى النخبة الوطنية التونسية في جامع الزيتونة ما بين 1881- 1920م ،جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي.

17- كاتب مجهول: جامع الزيتونة ، مجلة الوعي الإسلامي ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ع 532، الكويت ، 3 سبتمبر 2010م .

18- ماكن ريتشارد:لوي ماشويل والإصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الأولى للحماية الفرنسية، المجلة التاريخية المغربية ،تونس ،عدد 3 ، 1975م .

19- المحسن الجيلاني: المدارس القرآنية العصرية ومحاولات إصلاح التعليم الزيتوني من خارج الجامع الأعظم (1906 - 1956) ، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة منوبة ، تونس ، فيفري 2017 م .

20- محمد عصفور سلمان: الحماية الفرنسية على تونس عام 1881 والموقف العثماني والأوروبي منها، مجلة ديالا، ع السادس والخمسون، كلية التربية للعلوم الإنسانية 2012م.

21- المكي عبد اللاوي بشير: إشكالية إصلاح التعليم من خلال " أليس الصبح بقريب" لمحمد الطاهر إبن عاشور، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، مجلة الحوار المتوسطي، مارس 2017 .

22- معيفي فتحي:النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر،المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، مج 10، العدد 2، ديسمبر 2019م.

23- مجلة التراث التونسي : **زوايا مدينة تونس** ، 13 ماي 2022م .

ثانيا: الجرائد .

1-السعيداني المنجي: جامع الزيتونة المعمور... منارة للعلم والمعرفة على مر العصور، الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية ، تونس ، ع 10572 ، الخميس 28 شوال 1428هـ / الموافق ل 8 نوفمبر 2007 م .

- **المقالات والمواقع الإلكترونية .**

أولا: المقالات .

1- أحمد سوالم: الهوية التونسية والمغربية خلال الحماية الفرنسية،ثقافات www.thaqafat.com ، 16 يوليو 2014 ،تاريخ زيارة الموقع 16 فيفري 2022، على الساعة 20:00 .

2-(___،___): النخبة التونسية من خلال التعليم ، موقع أنفاس نت، www.anfasse.org، تاريخ النشر: 14 أوت 2015م ، تاريخ الزيارة 16 أفريل2022م ،على الساعة 12:51.

3- البوزيدي كريمة : الحركات الإصلاحية في المدارس القرآنية في أواخر القرن 18 وبداية 19: جامع الزيتونة التونسي نموذجا الجزء الثاني: الإصلاح من الداخل دوافعه والنتائج المترتبة عنها، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، الحوار المتمدن، m.ahewar.or g، تم نشره 03/29/ 2013م .

4- بن يوسف عادل: تعليم البنت في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع الإستقلال، موقع العربية ليدرز www.ar.leaders.com ، أخبار ،2019/10/03م ، تم زيارة الموقع يوم 20 مارس 2022م على الساعة 17:56 .

5- بوحوش الهادي، منجي العكروت:مدرسة نهج الباشا،أولى المدارس العصرية للفتاة التونسية ،ج 1 ،المدونة البيداغوجية ، الأحد 1 فيفري 2015م .العياشي مختار: أهمية البنية التحتية المدرسية في تونس قبل الإستقلال، المدونة البيداغوجية ، الإثنين 28 أكتوبر 2019م .

6- مصطفى بن تمسك: التعليم في تونس من التعدد إلى التوحيد، موقع العربية ليدرز www.ar.leaders.com ، تاريخ زيارة الموقع 27 أفريل 2022م ، على الساعة 13:29.

7- معمري حمادي : اللغة الفرنسية في تونس إختيار أم تركة أم حتمية تاريخية ،إندبندنت عربية TV تم نشره الإثنين 27 يوليو 2020، 15:17،تاريخ زيارة الموقع 25 أفريل 2022م، 12:35 .

ثانيا: المواقع الالكترونية .

1- بن صالح الخراشي سليمان: بدايات السفور في العالم الإسلامي ... المرأة التونسية ، على الرابط Alkharashy;http://www.saaid.net.com .

2- بن رجب ريم : رحلة داخل ماخور عبد الله قش : التاريخ المنسي والحاضر المقموع، موقع نواة www.nawaat.org ، 24 مارس 2017م .

3- موقع المعاني لكل رسم معنى www.almaany.comhttps://.

4- محمد شعبان أيوب: دولة التنوير تنشر الظلام ... كيف حارب الإحتلال الفرنسي التعليم في تونس؟ https://www.aljazeera.net.com.

5- الكتاتيب قبل الحماية وبعدها ،الموسوعة التونسية المفتوحة،www.mawsouaa.tn.

6- أشهر الزوايا : الموسوعة التونسية المفتوحة ، www.mawsouaa.tn .

فهرس الاعلام والاماكن

أولا: فهرس الأعلام .

الأعلام	الصفحة
الإمام البارودي	27
إبراهيم بن شعبان	34
إبن عصفور	49
أبو عبد الله المنتصر	23
أبو القاسم الشابي	21
أحمد باي	24-23-20
أحمد بن أبي الضياف	85
أحمد بيرم	34
أردي	46
أرمون فالييار	52-43-41
إسماعيل الصفايحي	48
إيميل لوبي	50
الأب أغستينو	60
الباجي المسعودي	27
بربيار	16
بسمارك	16
البشير صفر	75-74-51-44

البشير النيفر	85
بورغاد	60-59
تريدون	78
تيودور روستان	16
الجنرال حسين	26
جمال الدين الأفغاني	79
جول فيري	94-61-60-53-29-16
جون جوسران	30
حبيبة المنشاري	89
الحسان بن النعمان	19
حسين بن طيب التونسي	23
حسن قلاتي	81-76
خير الدين باشا	26-17
خير الله بن مصطفى	77-76-74-35-34
دي كرينيار	78
رشيد رضا	73
ركنتفالد	57
روا	33
روني ميلي	32

سالم بوحاجب	85-75
سيباستيان شارليتي	56-36
السيدة ملاح	51
سيدي إبراهيم الرياحي	22
سيدي أحمد بن عروس الهواري	22
سيدي براهم	22
سيدي عبد القادر	22
سيدي علي العزوز	23
سيدي محرز	23
سيدي مدين	23
سيدي الكلاعي	23
شارلوت إيجيشناك	51
الشيخ بن محمود	34
الطاهر إبن عاشور	81-69-46-35-34-20
الطاهر الحداد	88-81-21
الطيب بن عيسى	71
الطيب الجلولي	34
عبد الباسط الغابري	32
عبد الجليل الزواش	81-76

عبد الرحمن إبن خلدون	76-20
عبد العزيز الثعالبي	81-69-43-21
عبيد الله بن الحبحاب	19
عقبة بن نافع الفهري	18
علي باشا الثاني	23
علي باشا حامبه	82-81-76-75-74-70
علي بن زياد	16
علي بوشوشة	74
علي الجندوبي	88
غابريال ألابيتيت	35
كامبون	95-53-37-25
كمبنون	25
كاليقاريس	25
لافيجري	47
لوجيرو	16
لوسيان سان	35
لويز روني ميلي	51
لوي ماشويل	95-78-77-76-55-54-48-47-39-37-35-33-32-31

محب الدين الخطيب	73
محرز بن خلف	23
محمد باشا حامبه	91
محمد باي	25
محمد بن الخوجة	34
محمد بن عرفة	20
محمد بيرم الخامس	85-69
محمد الجعايبي	70
محمد حسين الثاني بن محمود	23
محمد الخضر حسين	20
محمد الشمام	71
محمد الصادق باي	60-26-23
محمد الصالح بسيس	71
محمد الأصرم	76-74
محمد الصنادالي	75
محمد عبده	79-73
محمد العربي زروق	26
محمد العزيز بوعتور	32
محمد القصاب	35-34

محمد النعمان الزمرلي	75
محمد نوري	75
محمد النيفر	34
محمود قبادو	25
مصطفى بن شعبان	71
مصطفى دنقزلي	36-35
مسيو فلوري	34
منوبية الورتاني	89
منصف الشنوفي	85
هشام بن عبد الملك	19
ويليام مارسي	57

ثانيا: فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
إفريقيا	16
ألمانيا	16
الأندلس	57
إنجلترا	42
إيطاليا	57-48-42
باجة	61
بنزرت	61-16
تونس	93-91-85-68-66-42-32-30-16-17-15
جامع الزيتونة	92-54-49-33-32-20-19-18-17
جامع عقبة بن نافع	18
جارة قابس	23
جامع حمودة باشا المراحي	23
جربة	61
الجزائر	57-46-15
الحجامين	23
حلق الوادي	60

حي الحفصية	51
زقاق إبن عصفور	49
سوريا	19
سوسة	61-60-42
سوق الأربعاء	16
سوق العطارين	49
سوق النحاس	22
عين دراهم	16
صفاقس	61-42
طبرقة	16
فرنسا	93-59-54-53-52-48-27-15
قابس	42-23
قرطاج	61-47
قرطاجنة	19
قصر باردو	16
قصور الساف	23
قفصة	61
القيروان	18
الكاف	16

ليون	46
مارسيليا	75
مالطا	59
مسجد شيو شيو	22
مصر	19-75
المغرب	19
ممر الباي	34
المنستير	61
المهدية	61
نابل	61
نهج باب بنات	76
نهج الديوان	22
نهج سيدي بن عروس	23
نهج العزافين	22